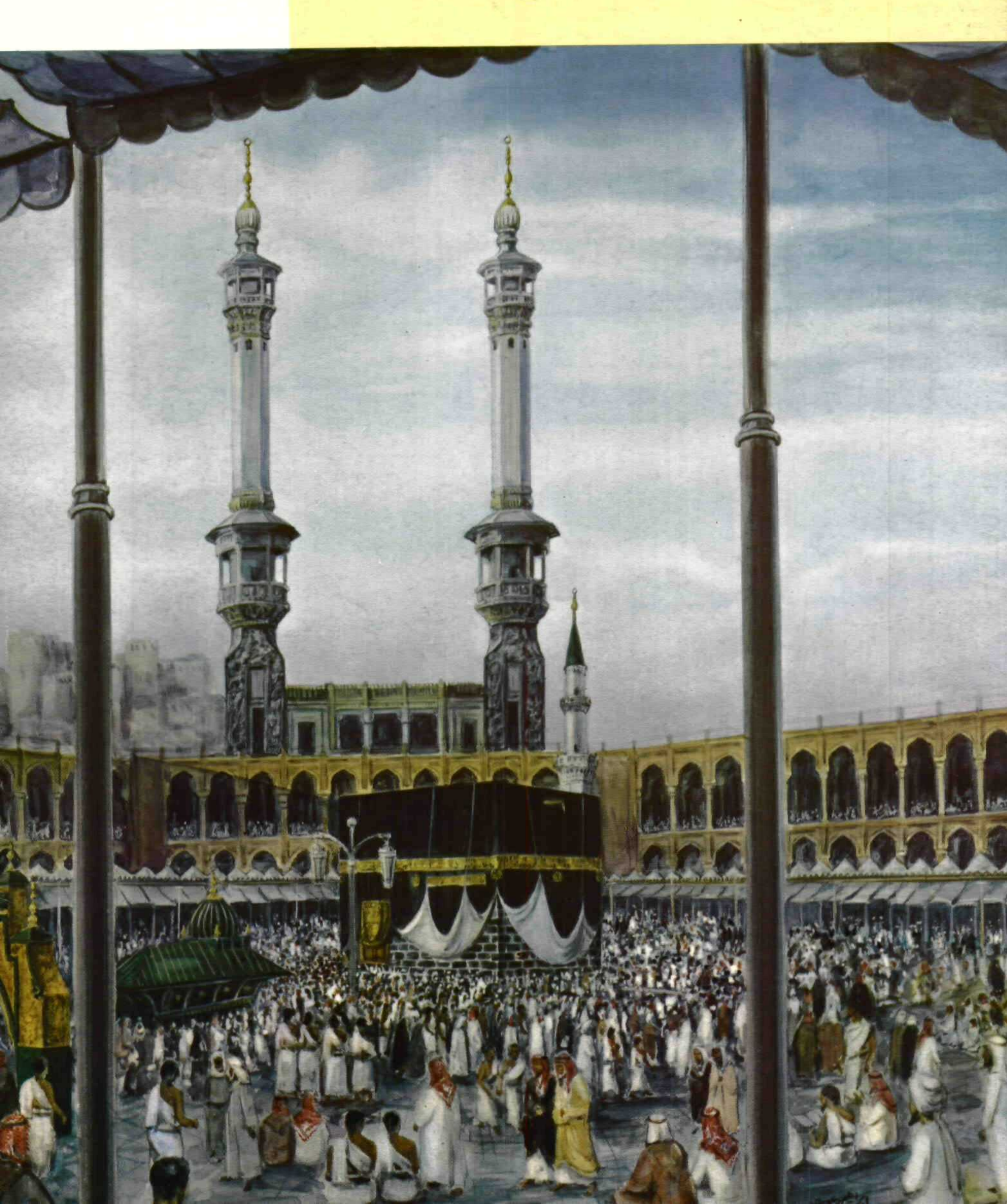
قافلة الزيت

ذو الحجة ١٣٨٦
مارس - ابريل ١٩٦٧



بسم الله الرحمن الرحيم

في هذا العدد

الصفحة

صورة الغلاف

لوحة زيتية للكعبة المشرفة
بريشة الفنان : ابراهيم دعوت



تصميم وطباعة مطابع المطوع
Designed and printed by Al-Mutawa Press, Dammam, Saudi Arabia

بسم الله الرحمن الرحيم

وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود. وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق. ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير. ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق.

صدق الله العظيم

تهنئة العيد

بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك يسعد أسرة تحرير قافلة الزيت أن تزف الى جلالة العاهل العربي السعودي الملك فيصل المعظم والى حكومته الرشيدة والشعب العربي السعودي الكريم ، والى حجيج بيت الله الحرام والى المسلمين كافة أخلص التهاني وأزكى الأماني ضارعة الى الباري عز وجل أن يعيده على الجميع وهم رافلون في أثواب الدّعة والنعيم .

وكل عام وأنتم بخير

قافلة الزيت
العدد الثاني عشر — المجلد الرابع عشر
تصدر شهريا عن : شركة الزيت العربية الأمريكية لموظفي الشركة - توزع مجانا
مديرها ورئيس تحريرها : سيف الدين عاشور
المحرر المساعد : فؤاد البرتين
العنوان : صندوق رقم ١٣٨٩ . الظهران ، المملكة العربية السعودية



في طريقنا الى حج بيت الله

بقلم الاستاذ علي حافظ

« ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » . صدق الله العظيم .

نحن في طريقنا الى حج بيت الله هذا العام ان شاء الله ، وقد سبقنا المسلمون الى الحج ١٣٧٦ مرة منذ ان حج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة المنورة بعد ان بعثه الله رسولا ونبيا وهاديا للناس أجمعين ، فأول حجة وآخر حجة حجها عليه الصلاة والسلام من المدينة كانت حجة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة النبوية . وقد بلغ من حج معه في تلك السنة حوالي ١٢٠ ألف حاج على قول بعض المؤرخين . وخرج صلى الله عليه وسلم من المدينة في حجته تلك يوم ٢٤ أو ٢٥ من ذي القعدة قائدا لهذا العدد الكبير من الحجيج . وقد أخذ عدد الحجاج يتضاعف عاما بعد عام حتى وصل في هذه السنين الى نحو مليوني حاج تقريبا .

وسائل النقل

كانت وسائل النقل للحج الجمال والخيل والبغال والحمير والسير على الأقدام والسفن لمن كان يقطن عبر البحار « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام » . ودامت وسائل النقل هذه حتى تطورت المخترعات والصناعات فتبدلت وحلت الطائرات والسيارات

والبواخر الضخمة محلها فضمنت هذه الوسائل الحديثة سرعة النقل والانتقال عبر البحار والجبال والصحراء بشكل لم يعهده العالم . فبعد ان كان الحاج يخرج من المدينة المنورة قبل يوم عرفات بـ ١٤ يوما ، صار الآن يسافر في يوم عرفات نفسه ويدرك الحج . وبعد أن كان الحاج من الخارج يسافر قبل يوم الحج بأشهر صار يسافر بالطائرة في يوم عرفات ويدرك الحج أيضا .

فوسائل النقل الحديثة هذه قلبت الأوضاع فقربت ما كان بعيدا وسهلت ما كان صعبا ، وجعلت العالم كله كأسرة واحدة تستطيع أن تتفاهم وتتعاون وان تعيش في أمن وتفاهم وان تجعل من الدنيا دار أمن وسلام لو سلمت من اطماع الطامعين وشره المعتدين وظلم الظالمين .

الحج مؤتمر إسلامي

والحج مؤتمر اسلامي سنوي عام ، يجتمع فيه المسلمون ليؤدوا مناسكهم وليذكروا اسم الله في أيام معدودات وليشهدوا منافع لهم ، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج .

وكان لوسائل النقل هذه أثرها في هذا الاجتماع ، فقد سهلت أسباب الحضور والدرس والتخطيط لتحقيق هذه المنافع كما أسلفنا والمواصلات السلكية واللاسلكية أيضا لا تقل أثرا عن النقل فقد ساهمت إلى حد كبير في تسهيل هذا الإجتماع . فالمسلمون الذين يقطنون عبر البحار كان من المتعذر عليهم الحضور لاكمال المخططات ودراسة ما ينفع المسلمين . أما اليوم فإنهم وهم بعيدون يمكنهم الاتصال بمجتمعهم والحضور في يوم واحد .

ولهذا التطور في وسائل النقل والمواصلات بشكل عام أثر على أوضاع الحج في بلادنا فقد دخلت الى بلادنا في أوائل العهد السعودي وأخذت تنمو وتقوى فسهلت الصعب ويسرت للحاج الراحة والاطمئنان . ولتسهيل سبل حجاج بيت الله ولضمان راحتهم أيضا ولمواجهة الضغط المتزايد قامت الحكومة بتعبيد الطرق وتوسعتها وبناء المطارات ، ودعمت إلى جانب ذلك الأجهزة الصحية وأجهزة الخدمات العامة للمواطنين والحجاج .

ومهما تيسرت سبل الحج وتوفرت أسباب الراحة فان في الحج مشقة كما جاء في القرآن الكريم ، وقد نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعيد حينما تحدث في حجة الوداع عن بعض الرخص في الحج . فأخذ المسلمون يعملون بالرخص التي رخص بها رسول الله ويأتون ما لا حرج فيه من أعمال الحج للتيسير والتسهيل . وقد اختلف أئمة المسلمين الأعلام في بعض أحكام الحج فبعضهم يراها واجبة وبعضهم يراها ركنا وبعضهم يراها سنة الخ ، وكلهم من هدي رسول الله ملتمس، وكل له سنده. وقد يسروا للناس كثيرا، فليتحر الحاج اليسير والسهل ويكمل حجه (والحج عرفه) كما قال عليه الصلاة والسلام اذا دعت الضرورة لذلك . وفيما يلي نبذ من أحكام الحج وأقوال العلماء رحمهم الله .

عرفات

روى الامام أحمد وأصحاب السنن عن عبد الرحمن بن يعمر « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمرمناديا ينادي (الحج عرفه) من جاء ليلة جمع(١) قبل طلوع الفجر فقد أدرك » وأجمع العلماء على ان الوقوف بعرفات ركن عظيم من أركان الحج .

ويرى جمهور العلماء ان وقت الوقوف بعرفات يبتدىء من زوال اليوم التاسع من ذي الحجة الى طلوع فجر اليوم العاشر وانه يكفي الوقوف في أي جزء من أجزاء هذا الوقت ليلا أو نهارا . ويرى الامام أحمد بن حنبل ان ابتداء الوقوف بعرفات من فجر اليوم التاسع الى فجر اليوم العاشر .

واجمع العلماء على أن الوقوف في أي موضع في عرفات يكفي الا بطن (عرنه) وهو وادي في الجهة الغربية من عرفات ، والصعود الى جبل الرحمة ، والاعتقاد ان الوقوف به أفضل خطأ وليس بسنة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عند الصخيرات وقال (وقفت ها هنا وعرفة كلها موقف) رواه أحمد ومسلم وأبو داود من حديث جابر .

المزدلفة

وفي حديث جابر رضي الله عنه « انه صلى الله عليه وسلم لما أتى المزدلفة صلى المغرب والعشاء ثم اضطجع حتى طلع الفجر ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام ولم يزل واقفا حتى أسفر جدا ثم دفع قبل طلوع الشمس » .

وأوجب أحمد المبيت في المزدلفة على غير الرعاة والسقاة ، أما سائر الائمة فقد أوجبوا الوقوف بها دون البيات . وقال الاحناف : الواجب هو الحضور بالمزدلفة قبل فجر يوم النحر . وقالت المالكية : الواجب هو النزول بالمزدلفة ليلا قبل الفجر بمقدار ما حط رحله وهو سائر من عرفات الى منى ما لم يكن له عذر فلا يجب عليه النزول . وقالت الشافعية : الواجب هو الوجود بالمزدلفة من النصف الثاني من ليلة النحر بعد الوقوف بعرفات ولا يشترط المكث بها ولا العلم بأنها المزدلفة بل يكفي المرور بها . والمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر (ووادي محسر بين المزدلفة ومنى) .

يوم النحر

وتؤدى أعمال يوم النحر (العيد) مرتبة كالآتي :

١ — رمي جمرة العقبة .
٢ — الذبح على من وجب عليه الذبح .
٣ — الحلق أو التقصير .
٤ — الطواف بالبيت طواف الافاضة .

وهذا الترتيب سنة فلو قدم نسكا على آخر شيء عليه عند أكثر أهل العلم . وبرمي الجمرات يوم النحر وحلق الرأس أو تقصيره يحل للمحرم ما كان محرماً عليه الا النساء، فاذا طاف طواف الافاضة حل له كل شيء من ذلك حتى النساء .

رمي الجمرات

قال جمهور العلماء ان رمي الجمرات واجب يجبر بدم عند تركه .

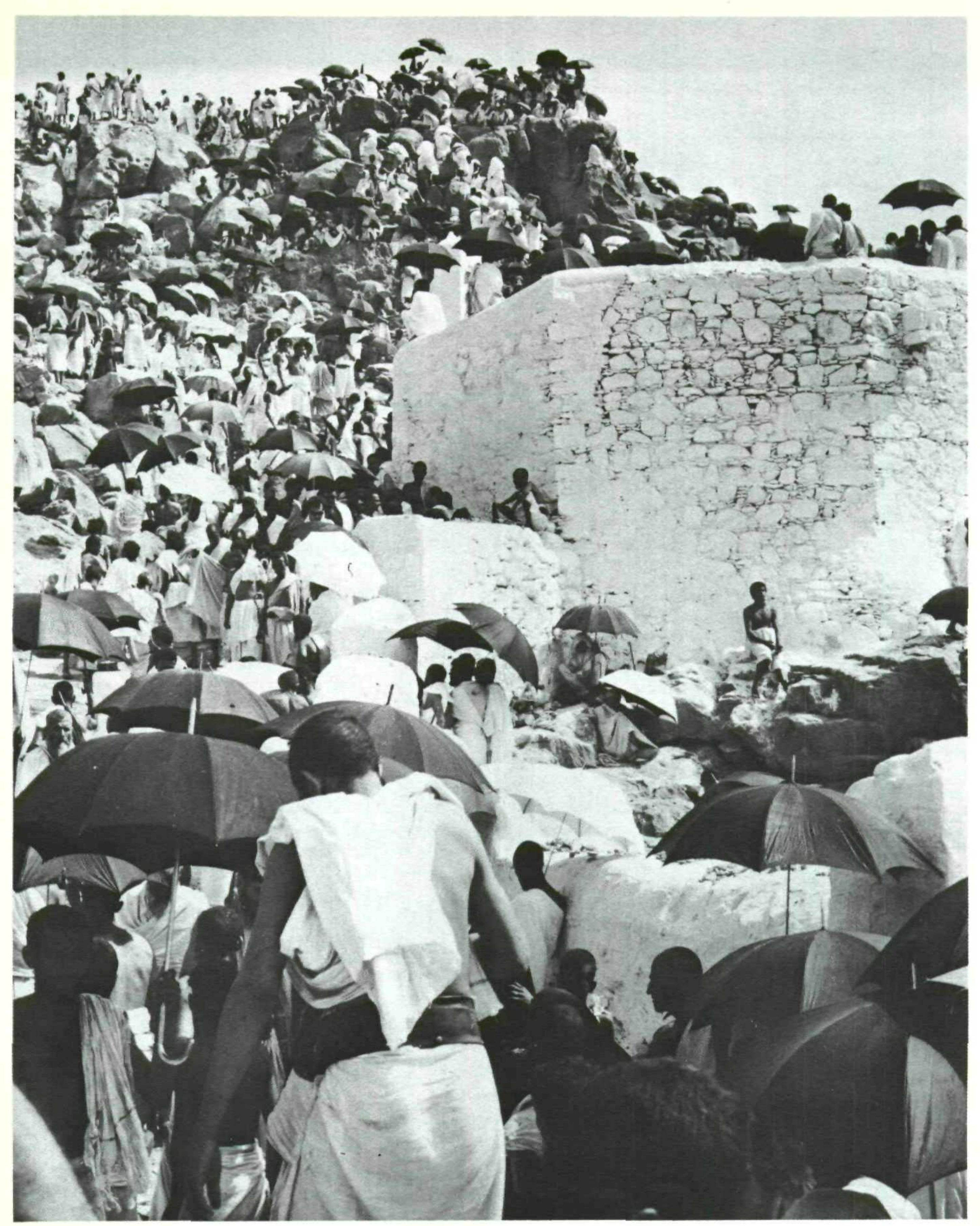
وقال ابن عمر : « يؤخذ الحصى من المزدلفة » . وفعل هذا سعيد بن جبير ، وقال أحمد بن حنبل رضي الله عنهم « خذ الحصى من حيث شئت » ، وهو قول عطاء وابن المنذر . ويجوز الرمي بحصى اخذ من المرمى مع الكراهة عند أبي حنيفة والشافعي وأحمد . وذهب ابن حزم الى الجواز بدون كراهية والى جواز الرمي راكبا .

وأيام الرمي ثلاثة أو أربعة :

١ — يوم النحر وترمى فيه جمرة العقبة — وهي الأخيرة من جهة مكة — بسبع حصوات .
٢ — اليوم الأول بعد يوم النحر ، ترمى فيه الجمرة الأولى من جهة منى ، ثم الجمرة الثانية ثم الجمرة الثالثة وهي جمرة العقبة التي رميت يوم النحر ، ترمى كل جمرة بسبع حصوات .
٣ — اليوم الثاني بعد يوم النحر ، ترمى فيه الجمرات الثلاث بنفس الترتيب، كل جمرة بسبع حصوات ، وهذا للمتعجل في يومين بعد يوم النحر ، ولا شيء عليه اذا تعجل ونزل مكة بعد الرمي .
٤ — اليوم الثالث بعد يوم النحر ، ترمى الجمرات الثلاث بنفس الترتيب السابق ، وهذا لمن أراد أن يتأخر الى آخر أيام التشريق (وأيام التشريق هي الأيام الثلاثة بعد عيد الأضحى) .

---

١ — بفتح الجيم وسكون الميم الموقف بالمزدلفة ، وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم — عن جبير بن مطعم — كل مزدلفة موقف وادفعوا عن محسر .



حجاج بيت الله الحرام أثناء وقوفهم في جبل الرحمة ، بعرفات .

أوقات رمي الجمرات

ولرمي الجمرات أوقات :

جمرة العقبة – قال ابن المنذر ان السنة ان لا يرمي الا بعد طلوع الشمس كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يجوز الرمي قبل طلوع الفجر لأن فاعله مخالف للسنة .

ورخص للنساء والصبيان والضعفاء وذوي الاعذار ورعاة الابل والسقاة أن يرموا جمرة العقبة من نصف ليلة النحر . ويظهر من ذلك ان الرامي قبل الفجر (يجزئه) .

الجمرات الثلاث بعد يوم النحر – اتفق ائمة المذاهب أن وقت الرمي في الأيام الثلاثة بعد يوم النحر هو من الزوال الى غروب الشمس ، فان أخر الرمي الى الليل كره ذلك ، والرمي في الليل الى طلوع شمس الغد . ورخص أصحاب الرأي الرمي قبل الزوال ، ولا ينفر الا بعده . وقال طاوس يرمي قبل الزوال وينفر قبله .

المبيت في منى

عند الائمة الثلاثة ان المبيت في منى واجب في الليالي الثلاث التي بعد ليلة يوم النحر أو في ليلتي الحادي عشر والثاني عشر من ذي الحجة ، ومن ترك المبيت عليه دم . وقال أبو حنيفة ان المبيت سنة ولا دم على من لم يبت . وقال ابن عباس « اذا رميت فنم حيث شئت » . وعن مجاهد « لا بأس بأن يكون أول الليل بمكة وآخره بمنى ، أو أول الليل بمنى وآخره بمكة » . وقال ابن حزم « ومن لم يبت ليالي منى فقد اساء ولا شيء عليه » .

واتفقوا على أن المبيت يسقط عن ذوي الاعذار كالسقاة والرعاة . وقد استأذن العباس رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم أن يبيت بمكة ليالي منى من أجل سقايته فأذن له . رواه البخاري .

متى يكون الرجوع من منى لمكة ؟

عند الائمة الثلاثة يكون الرجوع من منى لمكة قبل غروب الشمس من اليوم الثاني عشر من ذي الحجة وبعد الرمي .

وقال أبو حنيفة يرجع الى مكة ما لم يطلع الفجر من اليوم الثالث عشر من ذي الحجة لكن يكره النفر بعد الغروب لمخالفة السنة ولا شيء عليه .

الحلق والتقصير

روى البخاري ومسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم حلق وحلق طائفة من أصحابه وقصر بعضهم . والمقصود بالحلق ازالة شعر الرأس بالموسى ونحوه ، ولو اقتصر على ثلاث شعرات جاز . والمقصود بالتقصير ان يأخذ من شعر الرأس قدر أنملة .

واختلف اكثر العلماء في حكمه فقال أكثرهم انه واجب على تاركه دم . وذهب الشافعي على انه ركن من أركان الحج ، ووقته بعد رمي جمرة العقبة يوم النحر ، فان كان ممن يلزمه الذبح كان بعد الذبح . ووقته في العمرة بعد السعي بين الصفا والمروة ، ولمن معه هدى بعد الذبح أيضا . وعند أبي حنيفة ومالك وفي رواية لأحمد ، انه يجب أن يكون في الحرم وفي أيام النحر . وعند الشافعي ومحمد بن الحسن والمشهور من مذهب الامام أحمد انه يجب أن يكون الحلق أو التقصير في الحرم دون أيام النحر ، فان أخره عن أيام النحر جاز ولا شيء عليه .

طواف الإفاضة

أجمع الفقهاء على أن طواف الافاضة ركن من أركان الحج ، وان الحاج ان لم يفعله بطل حجه . ويرى أحمد انه لا بد من تعيين النية ، ويرى ثلاثة من الائمة ان نية الحج تكفي وتسري عليه .

ويرى جمهور العلماء أنه سبعة أشواط ، ويرى أبو حنيفة ان ركن الحج من ذلك أربعة أشواط لو تركها بطل حجه وان الثلاثة أشواط الباقية واجبة لو تركها أو بعضها لم يبطل حجه وعليه دم .

ويبدأ وقت طواف الافاضة من نصف الليل من ليلة النحر هذا عند الشافعي واحمد ، ولا حد لآخره ولكن لا تحل له النساء حتى يطوف ، ولا يجب بتأخيره عن أيام التشريق دم وان كان يكره ذلك .

أما أبو حنيفة ومالك فيقولان ان وقته يدخل بطلوع فجر يوم النحر ، ويرى أبو حنيفة انه يجب فعله في أيام النحر فان أخره عليه دم . ومالك يقول لا بأس من تأخيره الى آخر أيام التشريق ، وان وقته يمتد الى آخر ذي الحجة فان أخره عن ذلك عليه دم .

وبعد ، فانا لا نزال في طريقنا الى الحج حتى يمن الله به ، ونسأله تعالى أن يجعلنا من المقبولين انه سميع مجيب .



وفود الحجيج في طريقهم إلى تأدية مناسك الحج .



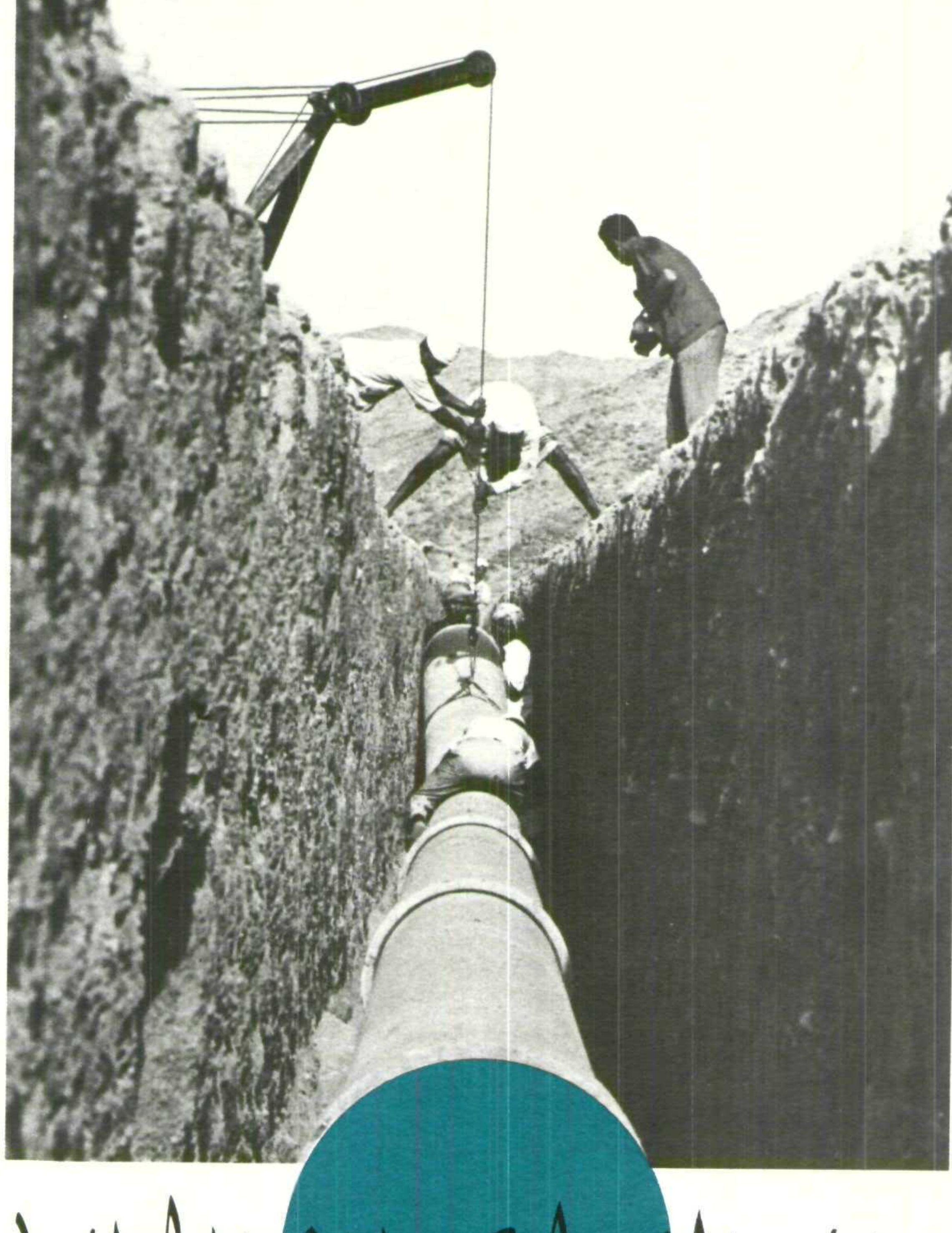
للشاعر حسن عبدالله القرشي

أشقى الورى من يرى الأيام باكية
وهو الذي زادها تعسا واظلاما
في الكون ما شئت من يأس ومن أمل
وفيه ما رمت أفراحا وآلاما
فخلّ ما اسطعت عنك الهمّ مطّرحا
تنسَ الأسى وتــرَ الأتراح أحلاما
واجعل مآسيَ كل الخلق عارمة
ملهاة فذّ أبى أن يحنيَ الهاما
حقولُ عمرِ الفتى تمضي مضاعفة
إن عاشها صادحا كالطير بسّاما
وينطوي العمر في صحراء مجدبة
مضيّعا ان قضاه المرء أوهاما !

يا أسمر

أطيافك السمراء يا أسمر   لها بوادينا شذى عاطر
تعبر ذكراك وفي جانحي   يلجّ هذا الخافق المسعر
من أين أقبلت ؟ وفيم انتهى   اليك حبي وشدا المزْهر ؟
سبع ليال مر بي طيفها   كما يمر الحلم الأشقر
وأنت لاه عن هوى صارخ   يسحرني من فيك ما يسحر
ويسمر العشاق في واحتي   لكن بناديك أنا أسمر
ويسخر الشوق ويغلي الأسى   والحب لا يهمس أو يجهر
أطيافك السمراء يا أسمر   يهفو اليها ليلي المقمر
أشعر إما عانقت خاطري   بأنني فوق السها أخطر
تدنو لي الآمال مخضرة   ويستدق العالم الأكبر

مد الأنابيب عملية شاقة تتطلب خبرة ودراية .



مزيد من المياه لحجاج بيت الله الحرام

تفيد المصادر التاريخية أن حجاج بيت الله الحرام كانوا ، في الماضي ، يعانون ضروب المشقة والعناء أثناء موسم الحج ، وذلك بسبب وعورة الطرقات وقلة المياه . فسكان مكة كانوا في أيام الجاهلية وصدر الاسلام يشربون من مياه الآبار والصهاريج التي تتجمع فيها مياه المطر . فلا غرو اذا ، لدى ازدياد عدد الحجاج أو لدى السنين التي يقل فيها سقوط الأمطار ، ان كانت ساقية الماء تباع بدينار ، وان يصبح تأمين المياه للحجاج من الأمور التي يتسابق عليها أصحاب البر والتقوى . ومما ورد ذكره في كتاب « الارتسامات اللطاف » لأمير البيان الأمير شكيب ارسلان ، ان أم القرى كانت تشرب من بئر « اليسيرة » التي حفرها لؤي ابن غالب ، والروي التي حفرها مرة بن كعب ، وخم ورم وهما من حفر كلاب بن مرة ، والجفر والعجول وبذر التي حفرها هاشم ابن عبد مناف ، وام احراد والسنبلة وهي حفر بني جميح ، والغمر لبني سهم ، والحفير لبني عدي ، والسقيا لبني مخزوم ، والثريا لبني تيّم ، والنقع لبني عامر بن لؤي ، وبئر حويطب لحويطب بن عبد العزي ، وبئر ابي موسى الأشعري بالمعلاة ، وبئر شوذب وبئر بكار ، وبئر وردان وسقاية سراج وبئر الأسود للأسود ابن سفيان وغيرها ، ومن هذه الآبار ما هو معروف الى اليوم باسمه ومكانه ومنها ما قد طوي اسمه أو ردم مكانه .

وجاء في « الرحلة الحجازية » لمحمد لبيب البتنوني ، أن « أهل مكة يشربون من ماء الآبار التي فيها مثل زمزم ، أو التي في ضواحيها كالزاهر والعسقلاني والجعرانة وغيرها » .

بيد انه بعد الاسلام ، وبعد اتساع رقعة الديار الاسلامية أصبح عدد الحجاج أضعافا مضاعفة ، وأخذت أزمة المياه تستفحل ولا سيما في عرفة ومنى أيام الحج ، الأمر الذي حدا بزبيدة زوجة هرون الرشيد الى جلب المياه لأم القرى من مسافة نحو أربعين كيلومترا فأسدت بذلك عملا جليلا تحمد عليه على مر السنين والأعوام .

ولعل أدق وصف لقناة زبيدة هو ما جاء على لسان الأمير شكيب في « الارتسامات اللطاف » ، إذ يقول : « ولقد جرت زبيدة رحمها الله هذا الماء من وادي نعمان الشهير في قناة كانت تنتهي قبل الوصول الى مكة بمسافة ثلاثة أرباع الساعة . وهذه القناة أكثرها تحت الأرض ، وفي بعض الأماكن تظهر على وجه الأرض تابعة لخطتها الهندسية ، واما علو سقف القناة ففي بعض الأماكن يقدر أن يمر فيها الفارس راكبا ، وفي غيرها لا يقدر أن يمشي الا الراجل ، وليس خطها مستقيما على اطراد بل فيه تعاريج كثيرة قد تكون اقتضتها طبيعة الأرض ، أو يكون مهندسو القناة مروا بعيون أرادوا أخذها في طريقهم فعرجوا عليها . وحيطان القناة من الجانبين غير مطلية بالجير ولا مجصصة بل مبنية بالحجر البسيط وذلك حتى يرشح الماء خلال الحيطان » .



الشيخ ماجد فيروز مدير عام مصلحة مياه عيني زبيدة والعزيزية .

أما تكلفة القناة فيختلف فيها المؤرخون . فعمر كحالة يقول في « اعلام النساء » انها بلغت : « ألف ألف وسبعمائة ألف دينار » . وأحمد حمدي الطاهر يذكر في كتابه « الحجاز » أنها قدرت بمائتي مثقال من الذهب ، والأمير شكيب ارسلان يذكر في « الارتسامات اللطاف » انها بلغت « مليون دينار » .

أما ما ذكره محمد لبيب البتنوني في كتابه «الرحلة الحجازية » ، في وصف عين زبيدة فهو يكاد يكون مماثلا لوصف الأمير شكيب إذ يقول « فأمرت رحمها الله بإجراء الماء إلى أم القرى من عين حنين التي توجد فيما وراء عرفة إلى جهة الشمال الشرقي ، على مسافة نحو خمسة وثلاثين كيلومترا من مكة . وهذه العين تخرج من جبال طاد وتسير في وادي حنين » . ثم يقول في مكان آخر من الصفحة نفسها : « وقد اهتمت زبيدة بهذا العمل الجليل اهتماما كبيرا وأرسلت اليه العمال من جميع الأطراف ، فبنوا لهذا الماء مجرى عظيما ، وأوصلوا به مجرى آخر من وادي النعمان ، من الماء الذي ينزل اليه من جبال كرا التي تبعد عن عرفات شرقا الى الجنوب بنحو اثني عشر كيلومترا وسيروا اليه سبع قنوات أخرى من الجهات التي تسقط اليها السيول حتى تساعد ماء المجرى الأصلي الذي عندما وصل جنوب منى نقر له في الصخر خزان كبير يصب فيه يسمى بئر زبيدة ومنه سيرت قناة الى مكة ، ومن هذا المجرى امتد فرعان واحد الى عرفات والآخر الى مسجد نمرة يسير الماء فيهما زمن الحج » .

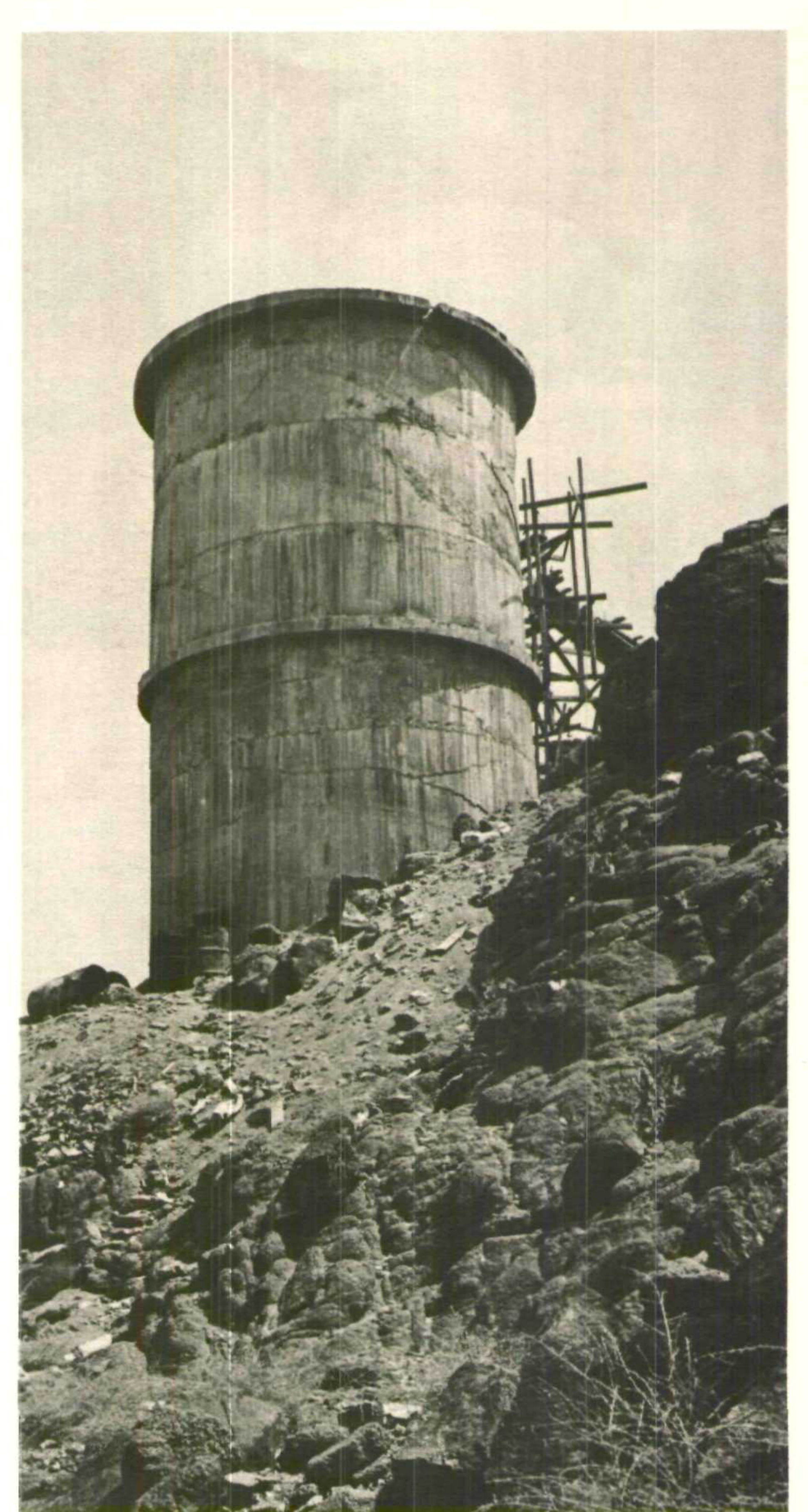
أما ما أدلى به الشيخ ماجد فيروز مدير عام مصلحة عيني زبيدة والعزيزية عن تاريخ العين ، مستندا إلى كتاب « شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام » للفاسي ، فهو أن السيدة زبيدة زوجة الخليفة هرون الرشيد حجت في عام مائة وتسعة وستين هجرية ورأت بأم العين ما يعانيه جيران بيت الله الحرام من قلة المياه ، فأمرت بالبحث عن المصادر المائية التي يمكن أن تسقى منها أم القرى . فكانت النتيجة أن اشترت السيدة

زبيدة بستان ابن عامر في وادي حنين وجميع المزارع التي تشرب من عين الماء التي تسقيه ، ثم جرى سحب المياه بكاملها إلى مكة المكرمة عبر قناة تصب في حوض كبير ، بني خصيصا لاستقبال ماء العين المشار إليها ، في سفح جبل النور ، غار حراء ، وصار سكان مكة يستقون الماء العذب من هذا الحوض بعد أن كانوا قبل انشاء العين ، يشربون من عشرة آبار متفرقة في أحياء مكة .

أما ما ذكره الشيخ ماجد عن عرفات ، فهو ان السيدة زبيدة أمرت بسحب المياه الى عرفات من وادي نعمان الواقع على بعد عشرة كيلومترات ، والذي يبلغ عمق المياه فيه حوالي ٤٥ مترا . وبلغت كمية المياه التي تم سحبها من هذا الوادي سبعمائة وخمسين ألف جالون في الأربع والعشرين ساعة .

ومما تذكره المراجع التاريخية ، ان أمر العناية بقناة السيدة زبيدة وعينها كان مسندا الى ٣٠٠ رجل من بيشة ، يحرسونها وينظفونها ويصلحون ما تهدم منها . الا انه بعد دخول الحجاز ضمن نطاق الدولة العثمانية ، أهمل أمر العناية بالقناة ، مما أدى الى تهدمها وانطمار العين وانقطاع المياه عن أم القرى ، فلقي الحجاج خلال هذه الفترة الكثير من المشاق حتى انه : « بلغ ثمن زق الماء بعرفة في غضون هذه المدة ليرة ذهبية » (الرحلة الحجازية) .

بقي الأمر كذلك حتى قام أهل الحرمين الشريفين في عام ٩٦٩ هـ (١٥٦٢م) بتقديم التماس الى السلطان سليمان يطلبون منه اصلاح العين . فوافق السلطان سليمان على طلبهم ولا سيما بعد ان تطوعت كريمته «مهرماه سلطان» بالقيام بهذا العمل الخيري على حسابها الخاص ، فكان ان عينت مديرا لمشروع الاصلاح وطلبت اليه التوجه فورا الى مكة بعد ان زودته بالمال اللازم . فقام المندوب بالاشراف على « حفر القناة ، وتنظيف فروعها ، وبناء ما تهدم من مجراها ، ولما وصل الاصلاح الى عين زبيدة بمنى أراد رحمه الله أن يغيّر مجراها الى مكة ، فاضطر الى النزول في هذا الجبل الصخري على مسافة نحو ٢٥ مترا من سطح الأرض في مسافة طولها أكثر من كيلومتر ، ثم سيرها في حضن الجبل القبلي حتى أوصلها مكة عام ٩٧٩ هـ (١٥٧١ م) . وينقسم هذا المجرى من البياضية شرقي باب المعلّى الى أربع شعب تتخلل المدينة من جهة الى أخرى . ويبلغ عرض هذه القناة



الخزان الذي يجري انشاؤه حديثا في منى .

نحو متر وربع في ارتفاع نحو متر ونصف ، ولها خزانات يملأ منها السقاءون » . (الرحلة الحجازية) .

وفي عامي ١٣٢٧ – ١٣٢٨ ﻫ (١٩٠٩ – ١٩١٠ م) حصلت سيول كثيرة تسببت في طمر مجرى العين ، فقام الشريف الحسين أمير مكة آنذاك باصلاح ما اعتل من هذا المجرى .

وبقي هذا المجرى بين صلاح وخراب ، وبقيت أم القرى بين ارتواء وعطش الى أن انضوت تحت لواء المملكة العربية السعودية .

فقامت الحكومة السعودية بالعناية بأم القرى . فكان من بين المشاريع الحية التي حظيت بها توسعة الحرمين الشريفين ، وشق طريق مكة – الطائف وخلاف ذلك من المشاريع العمرانية . أما مياه مكة فقد نالت قسطا كبيرا من عناية الدولة ، اذ انها جعلت لها مصلحة خاصة تعنى بها وبعين العزيزية التي تسقي مدينة جدة ، وتؤمن لهما كل ما يحتاجان اليه من اصلاح وتطوير .



تقوم آلة حفر خاصة بحفر الخنادق التي يجري مد خط الأنابيب فيها .

مصلحة عين زبيدة والعزيزية

يتولى أمر ادارة مصلحة عيني زبيدة والعزيزية الشيخ ماجد فيروز ، الذي لا يألو جهدا في رعاية العينين والحفاظ على سلامتهما ، وتجنيبهما التلوث واصلاح ما يحصل فيهما من خراب . وقد أضيف إلى عين زبيدة عينان هما عين الجديدة وعين الزعفران ، كذلك تفضل صاحب الجلالة الملك فيصل المعظم فأهدى لمكة ماء عين بستان الجديدة في عهد جلالة والده المغفور له الملك عبد العزيز الذي أمر بسحبها إلى مكة المكرمة بوجه السرعة ، وفعلا تم سحبها بعد أن بلغت تكلفتها حوالي خمسة ملايين وستمائة ألف ريال . بعد ذلك تم في أم القرى عدة مشاريع منها : مضاعفة عدد السبل العامة (البازانات) المنتشرة في الحواري والمحلات ، وايصال المياه الى النواحي البعيدة والضواحي المختلفة وانشاء خزان للمياه ببرحة اللاسلكي وايصال المياه اليه من خزان السلمانية الكبير ، فأمسى هذا الخزان يزود عدة أحياء مختلفة بالمياه اللازمة . كذلك ضمت مشاريع العين مدعدة خطوط مياه رئيسية الى مختلف مناطق مكة المكرمة وضواحيها وبناء شبكة أنابيب توصل المياه الى المنازل وأصبحت المياه بذلك ميسرة في متناول السكان والحجاج .



عندما يعترض آلة الحفر صخر ما يفجره العمال بالديناميت .

هذا عن مكة أما في مزدلفة ، فقد قامت ادارة العين بربط شبكات جديدة للمياه بخزان مزدلفة لتوفير المياه بصورة مستمرة ، وفي عرفات قامت ادارة العين بانشاء خزان مرتفع على الجبل الواقع شمالي عرفة وربطت به الشبكة التي تؤمن المياه للأماكن المرتفعة بميدان عرفة ، كما قامت الادارة أيضا بوضع عدد كبير من صنابير المياه في جميع جهات عرفة ومنى .

مشروع مياه مكة الجديد

على أن أزمة المياه في مكة المكرمة ما انتهت الا لتبدأ من جديد وذلك نظرا لامتداد العمران وزيادة عدد السكان المطردة ، كل هذا جعل الحكومة في عام ١٣٧٦هـ ، وعلى رأسها آنذاك الفيصل المعظم ، تقوم بشراء نصيفة عيني سولة والمضيق ، وتعمل على سحبهما الى مكة المكرمة . وقد تم فعلا سحب المياه من عين المضيق الى مكة المكرمة في خط أنابيب طوله حوالي ٤٥ كيلومترا ، وقطره ١٢ بوصة . وقد بلغت تكلفة المشروع حوالي تسعة ملايين ريال سعودي . ثم تمّ بعدئذ سحب المياه من عين سولة في خط أنابيب قطره ١٢ بوصة الى الخزان رقم (١) بوادي بني عمير . ويجري حاليا العمل على ايصال مياه هذا النبع الى مكة المكرمة في خط أنابيب قطره ٢٠ بوصة وطوله ١٢،٥ كيلومتر ، وذلك كمرحلة أولى من المراحل الثلاث في مشروع مياه مكة الحديث . كذلك تتضمن المرحلة الأولى بناء محطة ضخ لرفع المياه من قناة زبيدة الى خزان يجري انشاؤه في منطقة تدعى « حوض البقر » . ومن هذا الخزان يجري مد خط أنابيب طوله حوالي ٥ كيلومترات الى خزان تجمع كبير في منطقة المعابدة .

يقوم بتمديد خطي الأنابيب الشركة السعودية للتوريدات ، بينما تقوم شركة صفا ببناء محطة الضخ والخزان . وتبلغ تكاليف هذه المرحلة حوالي عشرة ملايين ريال سعودي .

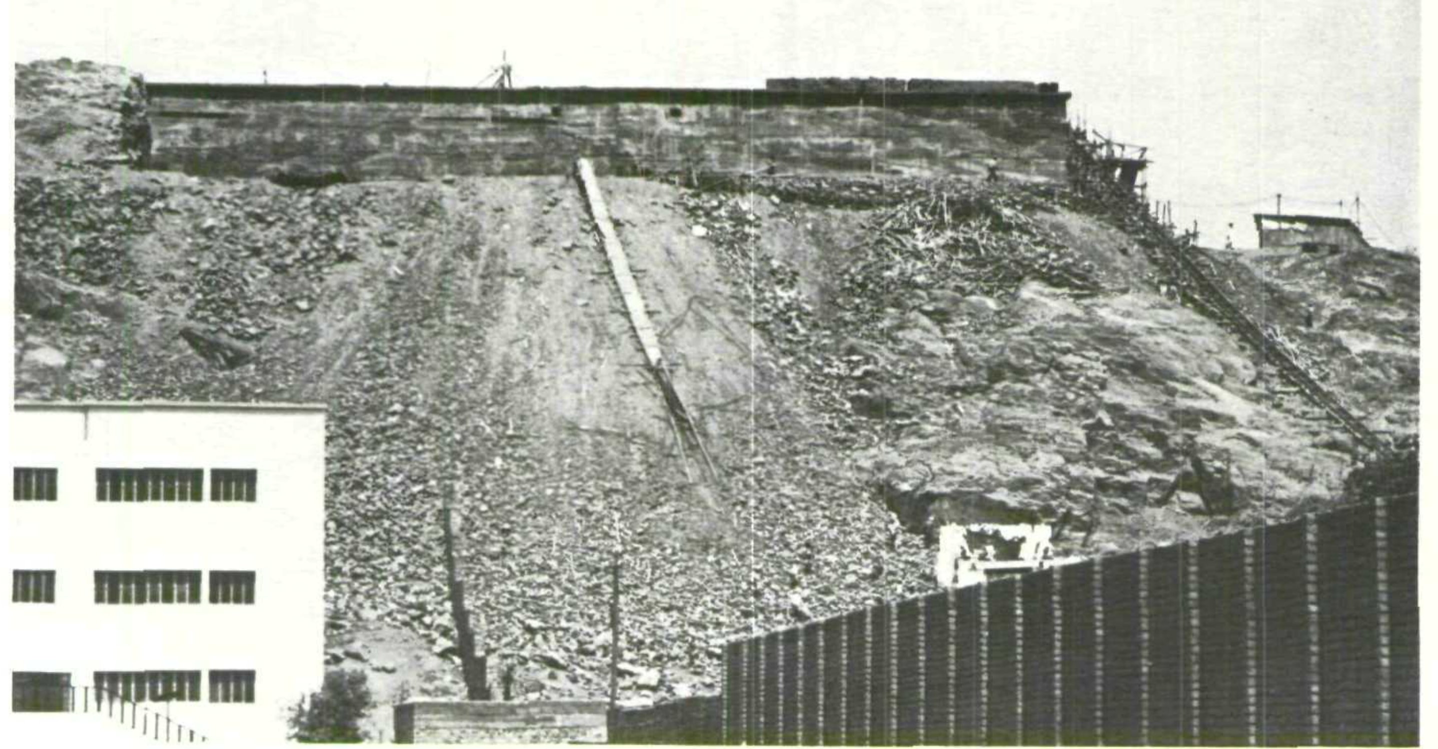
أما المرحلة الثانية من مشروع مياه مكة فهي انشاء خمسة خزانات في عرفات ومنى ومزدلفة ، سعة كل منها مليون جالون ، وكذلك انشاء خزان بالحجم نفسه في حي اجياد . وقد جرى تلزيم هـــذه الخزانات ، وسيبدأ العمل على بنائها بمجرد اتمام الترتيبات اللازمة . كذلك تتضمن المرحلة الثانية سحب مياه عين القشاشية وتغذية مياه مكة بها . ويتوقع أن يكون تمام هذه المرحلة في الموعد نفسه الذي تم فيه المرحلة الأولى . وتقدر تكـاليف هـذه المرحلة بمبلغ سبعة عشر مليون ريال سعودي .

أما المرحلة الثالثة والأخيرة في المشروع فسيبدأ في تنفيذها حالما تنهي شركة « واطسن » البريطانية دراستها ، وتتضمن هذه المرحلة ابدال قنـــاة عين زبيدة الحجرية القديمة ، بخط أنابيب معدني قطره ٢٤ بوصة ، وذلك للحيلولة دون ضياع المياه المتسربة من جدران القناة القديمة سدىً . ولم تقدر حتى الآن تكاليف هذه المرحلة.

كمية المياه التي تسقي مكة

كانت كمية المياه التي تسقي مكة المكرمة حتى عام ١٣٧٠هـ ٧٥٠ ٠٠٠ جالون في اليوم ، ثم ازدادت الكمية بعد اضافة عين بستان الجديدة حتى بلغت ١ ٤٥٠ ٠٠٠ جالون في اليوم . وبعد اضافة مياه عين المضيق ، ارتفعت كمية المياه بمقدار مليون جالون في اليوم . بيد انه بعد انتهاء مشروع المياه الجديد ستزداد كمية المياه الواردة الى مكة بحوالي عشرة ملايين جالون في اليوم أي حوالي أربعة أضعاف ما هي عليه حاليا . هذه هي كمية المياه التي سيضيفها مشروع مياه مكة الجديد لينعم سكان الديار المقدسة وحجاجها بالماء الزلال . إنه الماء حياة كل حياة .

عصام العماد



خزان « حوض البقر » الضخم ، وقد أصبح على وشك الانتهاء .

تصوير : سعيد الغامدي



قال صاحبي — وقد استعجب لهذا العنوان أو أعجب به ، لا أدري — ولكن أولا ما هي أغراض الشعر هذه ؟ قلت فيما يقول العلامة البستاني أن أبا تمام حصرها في عشرة أبواب ، أوصلها ابن أبي الاصبع العدواني إلى سبعة عشر هي : الغزل والوصف والفخر والمدح والهجاء والعتاب والاعتذار والأدب والزهد والمراثي والبشارة والتهاني والوعيد والتحذير والملح والسؤال والجواب ، وزادوها أربعة هي الزهريات والحكم والمجون والحماسة . قالوا : وهذا الباب الأخير هو أشرفها .

قال صاحبي : ما شاء الله ، ها هي بعد أن كانت عشرة قد صارت الى ما صارت اليه . ومن هذا الذي يستطيع أن يعقل أن الشعر لم يعد له في الأرض غير هذه المنافذ الاثنين والعشرين ؟ ثم وهذا العلامة البستاني ما له لم يبين أي هذه الأبواب هي التي حصرهـا أبو تمام وأيها لغيره ؟

قلت : أمّا هذه فأمرها يسير . هذا هو ديوان الحماسة ، مجموعة الاختيارات من الشعر التي جمعها ورتبها أبو تمام على هذه الأبواب . وراجعناها مطالعة فإذا هي كما قيل من ناحية العدد ، وان كان هناك ما يسمح للقول بأنها ثمانية . انما الملاحظة التي لم يسعنا اغفالها هي أن بعض هذه الأبواب تذكر عند البستاني بأسماء وعند أبي تمام بأسماء أخرى . فمثلا باب الوصف يذكره البستاني بهذا الاسم بينما أبو تمام يسميه باب الصفات . وباب الغزل هو بهذا الاسم عند البستاني ولكنه عند أبي تمام يدعى باب النسيب . ثم باب المدح عند البستاني يسميه أبو تمام باب الأضياف والمديح . أكثر من هذا نجد عند أبي تمام ما يسمى باب « مذمة النساء » وهذا ليس له وجود مطلقا عند البستاني ، وهكذا إلى آخر ما لا نذكره .

ويسبقني صاحبي الى التعليق على هذه الاختلافات التي لاحظناها فيقول : يا لله ، لقد كانت أغراض الشعر ومقاصده موجودة قبل أن يوجد أبو تمام والبستاني والعدواني وغيرهم وغيرهم ، والناس اليها غادون رائحون بين سارحين أو مرحين ، فرحين أو باكين ، ساخطين أو راضين . والآن ما قيمة الكلام فيها والخلاف على تسميتها وما أظنه بعد إلاّ أنه خلاف على اللحاف كمـا تقول أمثالنا الدارجة .

قلت يا صاحبي : «أطرق كرى» أو على رسلك قليلا . ان اختلافا يكون أحد طرفيه شاعرا مثل أبي تمام لا يمكن أن يكون من هذا القبيل . قل انه قد يبدو بسيطا بسبب أنه قائم على مجرد الاختلاف في وضع كلمة بدل أخرى . مع ذلك وعلى الرغم من هذا المظهر البسيط فإنه خلاف بعيد مدى الاطراف . أبو تمام حين يقول هذا باب النسيب ، ويأتي غيره ويقول هذا باب الغزل ، أتظن أن الأمر يغدو على السواء ؟ كيف هذا والنسيب كما نعرفه هو تعريض الشاعر بامرأة بعينها ، أما الغزل فهو الاشتهار بمودة النساء والصبوة لهن . قل لي بعد وضوح هذا الفرق بين هذا وذاك هل تبقى مصرّا على أن الخلاف في تسمية أغراض الشعر لا حاصل له ، ثم واذا كانت أغراض الشعر في حقيقتها ما هي الا حياة الناس في معاشهم وسلوكهم ، ومن هذين طبعا علاقة الرجل والمرأة، حينئذ ألا ترى أنه لا بد من أن يكون عند أبي تمام ما يدعوه الى تسمية هذا الباب بالنسيب ، ويكون له رأي خاص في فهم هذه العلاقة ، وبالتالي في توجيه الشعر لتصويرها للناس على ضوء هذا التوجيه ، والا فقل لي أنت لماذا لم يقل أبو تمام باب الغزل كما قال غيره ؟ ثم باب المدح ما بال أبي تمام يسميه باب الاضياف والمديح، ويقرن هذين الغرضين ببعضهما ويسلكهما في ديوان حماسته معا في باب واحد ؟ أوليس في هذا كلّه ما يشير إلى أي توجيه أو حتى الى أي غرض فني معين ؟ وأخيرا ندع هذا كله وننتقل الى ما يسمى باب الوصف عند الجميع الا عند أبي تمام فما له في ديوان حماسته سماه باب الصفات ؟ قل لي هل يتأتى له هذا الا إذا كان يملك الأسباب المسوغة لهذه التسمية ، أم حسبت أنه كان ممن يرسل القول على عاهنه ، أو يقوله جزافا ؟ ما أظن هذا يعقل ، فإن الاجماع تقريبا على أنه كان من أرباب المعاني الدّقاق ، وأنه كان أمير شعراء عصره ، بل وانه كان حكيما أكثر منه شاعرا . فهو من هذه الاعتبارات كلها لا بد أن يكون لديه من مسوغات هذه التسمية ما يكفي وزيادة . وهب أنه لم يكشف هذه المسوغات للناس فهذا شيء ، وأمّا أن من حقنا أن ندركها فهذا شيء آخر . ومهما يكن الأمر فالظاهر بل وبكل تأكيد أننا مهما تعمقنا في البحث عن وجهة نظره ، فسوف لا نجدها ماثلة بمنتهى الوضوح إلا في هذه الحقيقة الكبرى التي قام عليها الشعر منذ كان . ان الشعر منذ كان ما كان إلاّ على كفتي ميزان احداهما وضعت فيها كلمة «الصدق» ، أما الأخرى فقد وضعت فيها كلمة أخرى هي «لا شيء» . واللطيف في هذا الميزان أنه لا يحتاج لقبّان ولا وزّان ، فكل انسان له وجدان وفيه ذوق يستطيع أن ينظر هاتين الكفتين ، فإن لم يجد الصدق عرف في الحال أنه ليس أمامه إلا هذا الذي اسمه لا شيء أو لا شعر . ان الشعر في حقيقة وجوده محوره وقطب دائرته هو الصدق . فإن لم يلتزم الشاعر بالصدق ، فإنه بمقدار بعده عنه يكون ذلك تماما هو مقدار بعده عن محور الشعر ، أو عن قطب دائرته .

قال صاحبي : ما هذا الذي تقول منذ اليوم ، ألا والله انك لتعلم أن من أول ما علمناه وتعلمناه عن شيوخنا وعن مدارسنا حتى حفظناه بل حتى قام أبناؤنا عليه هو «أن الشعر أعذبه أكذبه» . ولعلّي لا أذكّر ناسيا بمثل هذا الشاعر الفارع الذي يقول في احدى مدائحه :

وأخَفْتَ أهل الشرْك حتى أنّه ... لتخافك النّطَفُ التي لم تخلق

أو بهذا الذي يقول :

ومر بفكري شخصها فجرحته ... ولم أر شخصا قط يجرحه الفكر

أو بهذا القائل :

خطرات النسيم تجرح خدّيه ... ولمس الحرير يدمي بنانه

قلت يا صاحبي : رويدك فما نسيت أن من هذا الشعر عندنا الكثير حتى لا يكاد يخلو منه أي ديوان لشاعر كبير أو صغير ، ومع ذلك أؤكد لك أني لم أجد في هذا الذي تمثلّت به ولا في نوعه أي رائحة للشعر بالمعنى الذي أرادته من الشعر الحياة . وما أرى في البيت الأول غير تجديف بالخيال ، وغير جبروت ذهني يتخايل به صاحبه ، وهذه شنشنة عن أخزم لا يجهلها في المتنبي أحد . أما البيت الثاني ، فإنما أقول في صاحبه أنه حاول الفلسفة والشعر معا ، فما بلغ لا هذا ولا تلك ، وإذا به فيما أراه فيه بين الفلاسفة والشعراء مذبذب لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء . بقي البيت الثالث والأخير ، والحق أنه إذا أعجبني وصفك المتنبي حين تمثلت بقوله فوصفته بالشاعر الفارع ، فكم يسرني أن يعجبك مني أن أصف صاحبك هذا الشاعر الأخير بأنه الشاعر أي والله ، فإنك مهما نقبت عما هو أفرع من فؤاد أم موسى فلن تجده الا فؤاد هذا الشاعر الذي لم يجد ما يشغل حياته أو يملأ أوقاته إلا الهيمان في انسان متخيّل أو أسطوري لا يمكن أن يكون له وجود . والاّ فخبرني في أي زمان أو مكان يوجد هذا الإنسان الذي يجرح أصابعه لمس الحرير ويدمي خديه مر النسيم الهامس عليه أو حواليه ؟ يا صديقي أي نوع من المبالغة هذا ، وأين توجد هذه العذوبة المزعومة فيه ؟ ان هؤلاء الشعراء الذين تمثلت بهم ما سلكوا الى هذه المسالك الضاربة في الخيال إلى حد الإيغال أو الجانحة للفلسفة إلى حد الهبوط بها إلى السّفه ، والذاهبة في المبالغات إلى حد التخريف أو تصوير المستحيلات . إن هؤلاء وأمثالهم جميعا ما صاروا في الشعر إلى هذه المزالق إلا منذ ظهور هذا النوع من الشعر المدعو «أعذبه أكذبه» في عالم الأدب أو عند العرب . على أنه مهما كان الرأي في هذا اللون من الشعر فلن نستطيع أن نجحد وجوده ، وان كنا لا نحب أن يتشعب بنا الكلام الآن عن كيفية ظهور هذا المذهب ، وكيف أخذت أعراضه تتجمع شيئا فشيئا حتى صارت بعض الأساليب وانتقلت من شاعر إلى آخر ، فإذا هي ظاهرة لا تدع غرضا من أغراض الشعر إلا انسربت اليه أو فرضت وجودها عليه ، وهكذا حتى قيل أخيرا ان هذه العوارض الشكلية أو القشرية على الأصح ما هي إلا الشواهد التاريخية على ما وصل اليه هذا الشعر العربي من رقي حضاري أو من تقدم أو تطوير . والله يعلم أن هذه ما كانت إلاّ أولى وسائل الانحراف بهذا الفن النبيل عن نبعه الأصيل إلى هذا المجرى الوبيل . ولكن ما رأيك إذا قلت لك أن من هذه النقطة تماما ، ومن هذه اللحظات التاريخية بالذات كان انبعاث أبي تمام إلى تحرير أغراض الشعر مما انحدرت اليه باسم التطوير والرجوع بها الى ما نشأت عليه من مقوماتها الطبيعية وروحها العربية ، وان هذا بالذات كان هو الحافز الأول الذي جعله في ترتيب ديوان الحماسة يقول باب الصفات ولا يرضى بتسميته باب الوصف . إلا أنه لو ظل التعبير بهذا اللفظ (الوصف) على هذا الباب من أبواب الشعر مفتوحا على مصراعيه أو كما هو عليه ، لاستغلق على أبي تمام أن يصل في اصلاح

الشعر الى ما يريد أن يصل اليه . ذلك لأنه لا غرض هناك من جميع أغراض الشعر إلا وله من فساد هذا الباب أو من اصلاحه نصيب . وانما لهذا الكلام تفاصيل وتوجيهات ما أراها خافية عليك إلا حين تعلم لماذا أصرّ أبو تمام على أن يسمي هذا الباب باسم باب الصفات .

لكن أي أنواع الصفات هي التي يعنيها أبو تمام بهذا الحرص البالغ أو بكل هذا الالتزام ؟ هل هي من الصفات المتخيلة للشعراء في مثل قول بعضهم :

رأت قمـر السماء فذكـّرتنـي
ليالـي وصلهـا بالرقمتــين
كلانـا ناظر قمـرا ولكـن
رأيت بعينها ورأت بعينـي

أو من مثل هذا القول :

مـا هلال الأفـق إلا حـاسد
لعُلاهـا وبهاهـا والغيَـدْ
ولـذا صـار ضئيـلا ناحـلا
كيف لا يفنـى نحولا مَنْ حسدْ

لا ، لا . ومعـاذ الله ، فما كانت هذه الصفات وما أشبهها مما أراده أبو تمام ، انما الصفات المقصودة له هي الصفات النابعة من ذات الموصوف ومن كيانه . أن هذه حين تكون نصب عين الشاعر فما أحراها أن تشدّه إلى الصدق في القول كلما أغراه الخيال إلى الانحراف عنـه .

ولا مراء أن هذه الصفات الموجودة بالفعل أمامه وتحت بصره أو بصيرته حينذاك في الموصوف سوف تكون في هذه الحال بالنسبة للشاعر أشبه بالحزام الذي يشده السباحون على أوساطهم ضمانا من الغرق أو أشبه بالمظلة التي يحتفظ بها الطيار اتّقاء للأخطار .

قال صاحبي : كأني بك تريد أن تقول أن أبا تمام لم يذهب في تسمية أغراض الشعر إلى ما ذهب اليه إلا تحدّيا ومقاومة لهذه الأغراض الوبائية التي تخللت بنيتها حتى انحرفت بها عن أصلها الطبيعي وهو الصدق ، أمّا بسبب النزوع إلى التطوير أو لأي سبب آخر . قلت : هو هذا ، وانما بقي أن أقول أن الأصل في كل ما ذهب اليه أبو تمام مصدره بإيجاز هو أن الشعراء العرب الأول حين كانوا يريدون أن يصفوا أي موصوف فإنهم ما كانوا ليستخدموا غير الصفات النابعة من ذات هذا الموصوف حسنة كانت أو قبيحة ، جسدية أو عقلية ، حتى اننا لو أحصينا الشعر الجاهلي كله فلن نجد إلا هذا النوع من الصفات في أي غرض من أغراضه ، وفي أي مقصد من مقاصده . متى جاء الوصف فإننا لن نجده إلا على طريقتهم هذه في استخدام الصفات . فهذا دريد بن الصمة يقول مادحا :

تراه خميص البطن والزّاد حاضر
عتيد ويغدو في القميص المقدّد(١)
إذا مسّه الأقـواء والجهـد زاده
سماحا واتلافا لمـا كان في اليد
قصير الازار خـارجٌ نصفُ ساقه
صبور على العزّاء(٢) طلّاع أنجد
قليل التشكّي للمصيبـات حافظ
من اليوم أعقاب الأحاديث في غد

ومثال آخر من قول أبي كبير الهذلي واصفا :

وَمُبَرّأ من كل غُبّر حَيْضَـة
وفساد مُوْضِعـة وداء مُغْيِل(٣)
فإذا طرحت لـه الحصاة رأيتـه
ينزو لوقعتها طمور الأخيَل(٤)
وإذا رميت به الفجاج رأيتــه
ينضو مخارمها هُوِيّ الأجدل(٥)
وإذا نظـرت إلى أسرّة وجهــه
برقت كبرق العـارض المتهلّـل

أرأيت إلى هذه الصفات كيف استعملها هذا الشاعر أو ذاك وكيف تراءت كلها نابعة من ذات موصوفها حتى ليخيل اليك في أي صفة منها أنك أمامها في موصوف حيّ تراه بعينك أو تسمعه بأذنك أو تلمسه بيدك ؟ لقد كان هذا النوع من الصفات هو المادة الأساسية لشاعرهم حين يريد أن يصف أي موصوف إنسانا أو حيوانا أو أي كائن . وما كان له مطلقا أن يتزيّد لموصوفه أية صفة أو يضيف اليه أي نعت ممّا لا يحسّ أو يدرك فيه ، وانما غاية ما كان له أن يوسّع للصورة ما شاء له الفن أن يتسع في الاطار بمقدار ما أوتي من قدرة على التلوين أو على التجميل أو على الابتكار . إن هذا إلا فنّ الصدق أو صدق الفن الذي جعل أحد شعرائهم يقـول :

وإنّ فؤادا بين جنبيّ عالـم
بما أبصرت عيني وما سمعت أذني
وفضّلني في الشعر واللّـب أننـي
أقول على علم وأعرف ما أعني

والآن يا صاحبي ، تراك ما زلت تسأل : هل تغيرت أغراض الشعر ؟

حاوِل أن تجيب

— ١ —

أ — من هو أول من قتل من المسلمين في معركة بدر ؟
ب — من هو أول من رمى سهما في الإسلام ؟
ج — ما هي أول غزوة للرسول في الإسلام ؟

— ٢ —

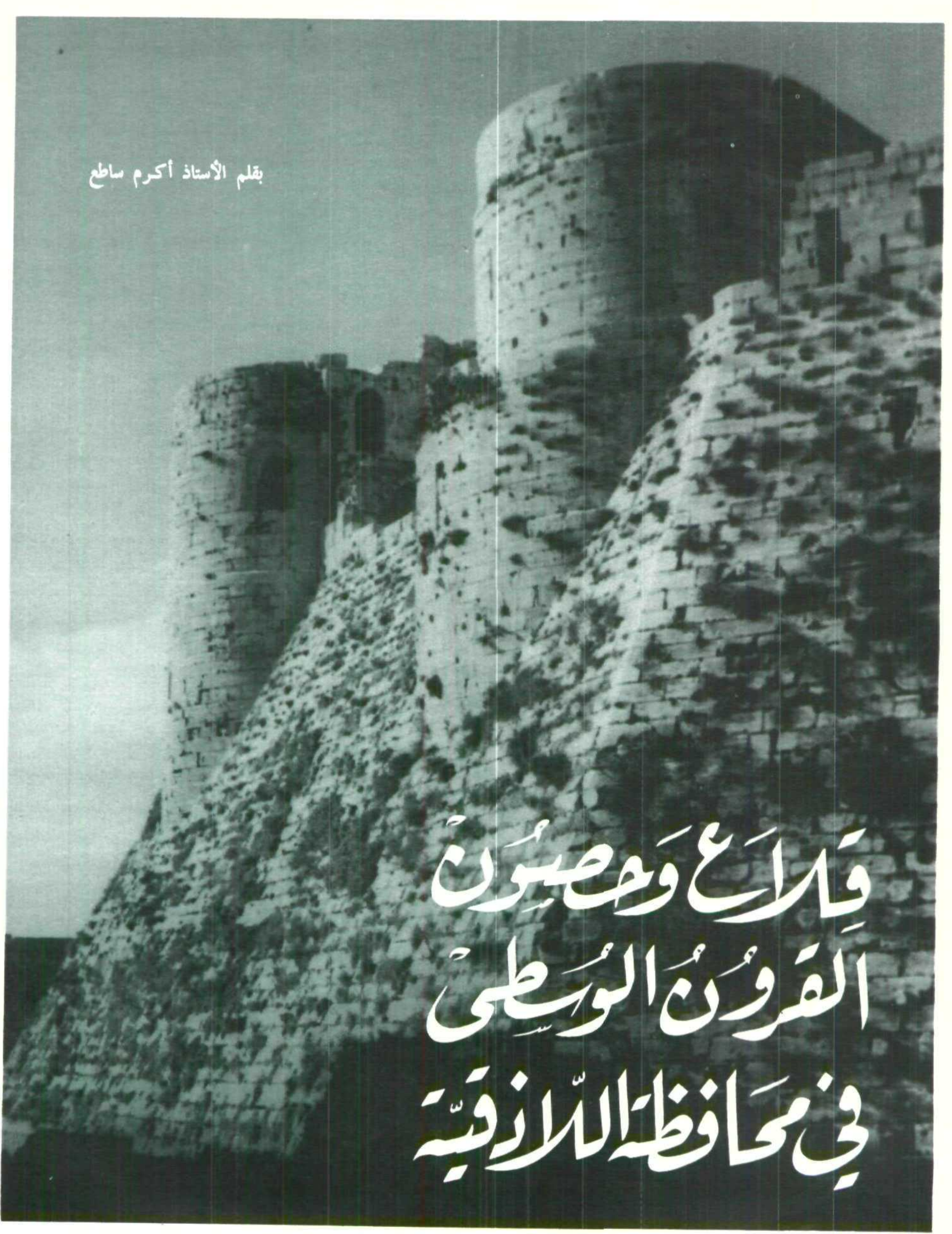
كم ميلا مربعا تبلغ مساحة كل مـن المحيطات التالية ؟
أ — المحيط الهادي .
ب — المحيط الأطلسي .
ج — المحيط الهندي .

— ٣ —

أين تقع كل من الشلالات التالية ؟
أ — شلالات أنجل .
ب — شلالات ريبون .
ج — شلالات تاكاكاو .

— ٤ —

أ — من هو مخترع أول آلة لصنع الورق ؟
ب — من هو مخترع السفينة الغواصة ؟
ج — من هو مكتشف مادة السيكلوترون المستعملة في الكيمياء ؟



بقلم الأستاذ أكرم ساطع

قلاع وحصون القرون الوسطى في محافظة اللاذقية

جانب من الأبراج المستديرة في قلعة « الحصن » .

تركت القرون الوسطى في هذه المنطقة نماذج كاملة من التحصينات التي سبقت اختراع البارود واستعمال المدفع والقنابل ، وتتجلى هذه القلاع والحصون وأبراج المراقبة المنتشرة على ذرى الجبال الشاهقة ، أو الهضاب العالية المحاطة بوديان سحيقة والمشرفة على الممرات « الستراتيجية » .

لقد دأب الغربيون على تسمية هذه التحصينات باسم (الحصون الصليبية) على الرغم من انها لم تكن كذلك في مجملها ، اذ أن بعضها من أصل عربي ، وقد تضم القلعة الواحدة أبنية ومنشآت من عصور مختلفة (بيزنطية وعربية وصليبية) . فاذا ما وقف المرء وجها لوجه أمام أحد هذه الحصون الشامخة يقلب الطرف يتملكه العجب من مهارة المهندسين والبنائين العباقرة الذين شيدوه ، ثم لا يلبث ان يرفع الرأس عاليا مزهوا عندما يتذكر شجاعة أولئك الذين فتحوه وحرروه .

فامام تلك القلعة واقع نور الدين محمود جيوش الافرنج ، وحذاء ذلك السور وصل جيش صلاح الدين يوسف بن أيوب بعد موقعة حطين ، وهذه الواجهة من احداث الملك الظاهر بيبرس ، ووراءها برج من تشييد السلطان المنصور قلاوون ، وحول المائدة المستديرة الحجرية التي تراها في تلك الباحة الفسيحة كان يتحلق فرسان جمعية المستشفى ، وفي القاعة الكبرى التي وراءها كانوا يعقدون اجتماعاتهم ، وفي المخابىء التي تتصل بها كان يعيش الامراء والقادة .

وبعد فان كثرة هذه القلاع والحصون والأبراج تحول دون ذكرها جميعا . وحسبنا أن نذكر ما بقي خالدا على أحسن حال عبر القرون والأعوام .

هنالك قلعة حصينة تربض على ذروة جبل أمنع من عقاب الجو ، تحف بها الوديان السحيقة ذات الأشجار الباسقة والأحراج الكثيفة الدائمة الخضرة ، تبعد عن مدينة اللاذقية شرقا مسافة (٢٥) كم تقريبا . وسماها الصليبيون (ساوون) وتعرف اليوم باسم (قلعة صلاح الدين) وهؤلاء قد اعجبوا بالمكان الحصين الذي تربض عليه القلعة فعملوا على تعزيزها وتحصينها واضافة منشآت اليها . فحفروا وهدة(١) عميقة قدّت في الصخر في المكان الضيق الذي تتصل فيه الذروة بالهضبة المجاورة ، كي تبقى القلعة منعزلة عن جميع المرتفعات المجاورة كما انشأوا جسرا متحركا على الوادي الشمالي ، وأقاموا ركيزة صخرية ذات قطعة واحدة مرتفعة على شكل ابرة يمكنها أن تحمل الجسر المتحرك(٢) الذي كان يؤدي الى الحصن .

ويشاهد من آثارها حاليا جدار بيزنطي من القرن العاشر للميلاد ومنشآت معمارية أخرى تمتاز بأقواس منكسرة وعقود متصالبة وابراج مستديرة في الزوايا ، بنيت من أكبر وأجمل حجارة النحت حسب الفن القوطي ، كذلك نشاهد فيها العناصر المعمارية الضرورية في كل قلعة حررها المسلمون من يدالافرنج ألا وهي : الجامع والمئذنة والحمام التي تعود الى الملك الناصر (قلاوون) . وقد تم انجازها ما بين نهاية القرن الثالث عشر ومطلع القرن الرابع عشر الميلادي .

ولا يخفى أن مناعة هذه القلعة لم تقف حائلا دون تحريرها من قبل المجاهدين وعلى رأسهم صلاح الدين في أقل من أربعة أيام(٣) . وقد سميت القلعة بحق باسم صلاح الدين ، علما بأنه ساهم في التحرير ، الى جانب مسلمي الشرق الأدنى ، مجاهدون من المغرب العربي وكان لهم فضل كبير في هذا الميدان . وكان لقدوم المغاربة من بلادهم البعيدة للمساهمة في القتال ان تضايق الصليبيون كثيرا ، حتى أصبحت معاملتهم للأسرى المغاربة شديدة الوطأة أكثر من أبناء البلاد . ولنستمع الى ابن الأثير يصف هذا النصر المؤزر فيقول : (في سنة ٥٨٤ هـ وفي السابع والعشرين من جمادى الأولى(٤) رحل صلاح الدين عن اللاذقية وقصد قلعة (ساوون) ، وهي قلعة منيعة ، شاهقة في الهواء ، صعبة المرتقى ، على قرنة جبل يطيف بها واد عميق فيه ضيق في بعض المواضع بحيث أن حجر المنجنيق يصل منه الى الحصن . الا أن الجبل متصل بها من جهة الشمال ، وقد عملوا لها خندقا عميقا لا يرى قعره وخمسة أسوار منيعة ، فنزل صلاح الدين على هذا الجبل الملتصق بها ، ونصبت عليها المنجنيقات ورماها . وتقدم الى ولده الظاهر غازي صاحب حلب فنزل على المكان الضيق من الوادي ونصب عليه المنجنيقات فرمى الحصن منه وكان معه من الرجالة الحلبيين كثير وهم من الشجاعة بالمنزلة المشهورة ، ودام رشق السهام فجرح أكثر من بالحصن وهم يظهرون التجلد والامتناع ، وزحف المسلمون اليهم ثاني جمادى الآخرة ، فتعلقوا بقرنة من ذلك الجبل قد أغفل الافرنج احكامها فتسلقوا منها بين الصخور حتى التحقوا بالسور الأول فملكوا منها ثلاثة وغنموا ما فيها واحتمى الافرنج بالقلعة التي للقلعة فقاتلهم المسلمون فنادوا وطلبوا الأمان فلم يجبهم صلاح الدين فقرروا تسليم الحصن ، فسلمه الى الأمير ناصر الدين منكورس فحصنه هذا وجعله من أحسن الحصون) .



منظر عام لقلعة « الحصن » .

---

١ — ليس لها خندق محفور الا من جانب واحد طوله ستون ذراعا وهو نقر في حجر . (كتاب مفرج الكروب في ذكر بني أيوب (ص ٢٦) .

٢ — الجسر متهدم في هذه الأيام . ٣ — الكامل في التاريخ (ص ١٩٢) . ٤ — واقع السلطان صلاح الدين القلعة في يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من جمادى الأولى في يوم شديد الحرارة .

أما القاضي بهاء الدين بن شداد(٥) الذي لم يفارق صلاح الدين منذ التحق بخدمته في سنة ٥٨٤ فقد كان يتنقل معه في ميادين القتال ويشترك في الحرب أو يقوم بالمراقبة لحركات العدو ، فقد قال : (كنت أشاهد الناس وهم يأخذون القدور وقد استوى فيها الطعام فيأكلون وهم يدخلون القلعة ، وانضم من كان في الربض الى القلعة بما أمكنهم أن يحملوه من أموالهم ونهب الباقي ، ثم استدار المسلمون حول اسوار القلعة فلما عاينوا(٦) الهلاك وطلبوا الأمان أمنهم السلطان على أن يسلموا بأموالهم وأنفسهم فسلمت القلعة) .

والقلعة الثانية التي لعبت دورا هاما في الحروب الصليبية وجاء ذكرها في مؤلفات عديدة عن هذه الحروب هي قلعة (برزية) وقد أطلق عليها في العصور القديمة اسم (ليزياس) . تربض على ذروة جبل مرتفعة من سلسلة جبال العلويين وتشرف على سهل الغاب الفسيح ، وقد احتلها الحمدانيون حوالي سنة٣٣٧هـ ومكثوا فيها حتى دخول البيزنطيين سنة ٩٧٥م ثم احتلها الصليبيون في الربع الأول من القرن الثاني عشر فعمدوا الى تحصينها وتعزيزها بالأبراج مثل بقية القلاع .

لا ريب انه كان للقلعة شأن كبير وأهمية بالغة لأنها قائمة على ضفاف العاصي وفي طريق انطاكية عاصمة الأمارة الصليبية . فقد وصفها القاضي بن شداد بقوله :

(قلعة برزية قلعة حصينة في غايــة القوة والمنعة على سن جبل شاهق ، يضرب بها المثل في جميع بلاد الفرنج والمسلمين ، تحيط بها أودية مــن سائر جوانبها) .

وقال عنها عماد الدين الاصفهاني يصفها عندما كانت تضربها منجنيقات المسلمين : (لم يتحرك سكونها وكيف تهدد الخنساء بصخر ، والعنقاء بصقر ، وحجر الجبل بحجر ، ومدار الفلك بمدر) . لقد آلى صلاح الدين على نفسه تحرير الشرق ، وكان عام ١١٨٨م حافلا بتحرير المعاقل المنيعة في المنطقة . وقد وقف أمام قلعة برزية في العشرين من شهر آب عام ١١٨٨م يريد فتحها عنوة ، وفي اليوم التالي علا صهوة جواده وقام بجولة حول المرتفع الذي يحمل الحصن بقصد اكتشاف الجهة الملائمــة للهجوم ، وأمر بنصب خيمة في الجهــة الغربية وهي أقرب الى أسوار القلعة واقام فيها مع بعض رجاله من سلاح الفرسان . ثم بعث بطلب جيشه ، وقد نصبت المنجنيقات في الأمكنــة التي عينت لهـــا وبدأت المعركــة في ذلك اليوم واستمرت أربعة أيام متواصلة وكان الجو شديد الحرارة وأخذ اليأس يدب في حامية القلعة حتى التحم المسلمون مع الحامية فدخلوها مصحوبين بأعدائهم ثم أخذ الصليبيون ينسحبون نحو البرج الرئيسي فحاصره المسلمون من مختلف جهاته الى أن تمكنوا من احتلاله ، ووقع كثيرون في الأسر من بينهم صاحب (برزية) وعائلته ، الا أن صلاح الدين ما لبث ان أخلى سبيل صاحب القلعة وعائلته بالقرب من انطاكية ذلك لأن هذا كان زوج أخت امرأة أمير انطاكية ، وكانت امرأة أمير انطاكية جاسوسة للسلطان صلاح الدين على الافرنج (تهاديه وتناصحه وتطلعه عــلى أسرارهم والسلطان يكرمها) وهكذا عامل شقيقتها معاملة حسنة اكراما لها . ويبدو أن القلعة كانت آهلة بالسكان حتى نهاية القرن الرابع عشر وقد أتى على ذكرها ابن الفرات في عهد المماليك سنة ١٣٨٩ ، كما ذكرت مرة أخرى في عهد السلطان الظاهر .

والى الشرق مــن مــدينة بــانياس الساحلية ، وعلى بعد خمسة كيلومترات تقع قلعة (المرقب) الرابضة على جبل مشرف على الساحل ، متحجبة ببرقع من سحابة بعيدة تبدو وكأنها ترفع هذه الآبدة من وسط القرن العشرين لتلفها بذكريات القرون الوسطى .

يحدثنا المؤرخون العرب انه كان في ذلك المكان قصر عربي قديم بناه أحد زعماء المنطقة سنة ١٠٦٢م ثم وقع في قبضة البيزنطيين سنة ١١٠٤م فحصنوه ، ثم لم يلبث الحصن ان وقع بأيدي الصليبيين سنة ١١١٧م فزادوا في تحصيناته وأضافوا اليه منشآت كثيرة كالسراديب والأقبية وأصبح يعرف عندهم باســم (مارغت) تابعا لانطاكية .

وتتميز القلعة باتساعها وبسورها المرتفع المزدوج وقد حفرت وهدة لفصل احدى المرتفعات المجاورة عن البناء ثم أقيم على الطريق الساحلي برج أمامي للمراقبة مؤلف من طابقين مربع الشكل تابع لها ويبعد عنها بخط مستقيم زهاء ألفي متر ويعرف هذا البرج باسم برج (الصبي) . ويمكن القول أن جميع المنشآت الصليبية فيها بنيت على الطراز القوطي وأهمها : الكنيسة الغنية بالعناصر الزخرفية . هذا وقد بنى العرب المسلمون الجسر والدرج الموصل الى باب القلعة والبرج الجنوبي الذي يحمل كتابة جميلة من عهد قلاوون . ولقد اشتهرت عند



منظر داخلي لقلعة « الحصن » .

ركيزة على شكل ابرة كانت تحمل الجسر المتحرك المؤدي الى حصن قلعة « صلاح الدين » .



٥ – النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية .

٦ – يقصد الصليبيين .

العرب بمناعتها فقال عنها ابن الأثير : (المرقب وهي من حصونهم (٧) التي لا ترام ولا تحدث أحدا نفسه بملكه لعلوه وامتناعه ، وهو للاسبتار (٨). وقد حاول السلطان صلاح الدين وابنه الظاهر غازي والأمير التركماني سيف الدين الاستيلاء عليها دون جدوى . وفي سنة ١٢٧٠م اضطرت حامية الحصن ان تعقد الصلح مع العرب وان تدفع الجزية الى الملك الظاهر بيبرس .

ان الجهاد الذي قام به بيبرس استأنفه من بعده بطل لا يقل عنه بسالة وحمية الا وهو (قلاوون) الملقب عن جدارة بالملك المنصور وقد آلى على نفسه انتزاع القلعة من أيدي المحتلين فحاصرها مدة ثمانية وثلاثين يوما الى أن استسلمت في ٢٥ أيار عام ١٢٨٥م وكان المؤرخ الأيوبي الأمير أبو الفداء آنئذ ناشئا في الثانية عشرة من عمره ، وكانت هذه المناسبة هي المرة الأولى التي عرف فيها الحرب وقد سيقت حاميتها من فرسان الاسبتاريين مخفورة الى طرابلس .

ومن القلاع التي لعبت دورا مرموقا في المنطقة ، ويشار اليها اليوم بالبنان حيث أصبحت مقصد السياح والزوار من كل حدب وصوب هي قلعة (الحصن) . وتقع هذه وسط بيئة جميلة خلابة المناظر يحدها من الشرق سهل البقيعة (٩) التاريخي يخترقه وادي نهر الكبير الجنوبي الذي يشكل مجراه الحدود السورية اللبنانية حاليا ، ومن وراء السهل جبل الحلو ، ومن الشمال جبل السائح ومن الغرب وديان وجبال تغطيها الكروم والأحراج العذراء ، والقلعة تبعد عن الساحل السوري (بخط مستقيم) ٣٥ كيلومترا . شيدت على هضبة صخرية بركانية كانت ترابط عليها بادىء الأمر حامية من الأكراد في حصن صغير يدعى حصن الأكراد اقامهم صاحب حمص لمراقبة الطريق بين الساحل والداخل ، فوصل اليها الصليبيون قادمين من الساحل السوري عام ١١١٠م ، فتغلبوا على الحامية الصغيرة بكثرتهم واستولوا على الحصن ، فطفقوا يوسعونه ويضيفون اليه الأسوار والأبراج كلما أحسوا بالخطر طوال مدة مائة واثنين وستين عاما . وكانت تتسع لحامية تعدادها أربعة آلاف جندي ، وفيها من السراديب والأقبية ما يعجز عنه الوصف ، لما احتلها المسلمون رمموها وأضافوا اليها منشآت جديدة حتى غدت حصنا داخل حصن بينهما خندق وحولهما خندق . زارها الرحالة ابن بطوطة وهو في طريقه من طرابلس الى حمص ونام ليلة عند قاضيها .

ويحدثنا التاريخ أن نور الدين محمود هاجمها بعنف في عام ١١٦٣ واشتبك مع الافرنج في معركة حامية دارت رحاها في سهل البقيعة آنف الذكر . ثم جاء صلاح الدين الأيوبي فحاصرها عام ١١٨٨م ثم غادرها متابعا جهاده في المنطقة كسبا للوقت ، وأخيرا قدم اليها (بيبرس) شتاء عام ١٢٧١م فضرب الحصار عليها ونصب المنجنيقات فرمتها بلهب وحجارة من ٢٤ آذار (مارس) عام ١٢٧١م حتى ٨ نيسان (ابريل) من العام نفسه ثم زحف عليها ليحتلها برجا برجا وبابا بابا حتى استسلمت حاميتها ، وانسجاما مع سجيته فقد عامل أفراد الحامية الباقية برحمة كسلفه السلطان صلاح الدين الأيوبي عند فتح بيت المقدس ثم شرع يبني ما تهدم ويضيف ابراجا أخرى زادتها تحصينا ومناعة ، وأخذ يزين هذه الأبراج بالكتابات القرآنية . وهكذا بقيت هذه الأوابد لتحكي لنا حكاية التاريخ وانتصار المسلمين .



الوهدة العميقة التي حفرت في الصخر بالقرب من قلعة « صلاح الدين » .



أحد أبراج قلعة « صلاح الدين » .

---

٧ – أي حصون الافرنج . ٨ – الاسبتاريون : فرسان القديس يوحنا (من الصليبيين) . ٩ – البقيعة : عند الحدود السورية اللبنانية .



بقلم الاستاذ محمود الشرقاوي

أشكر للقافلة أن اقترحت علي الكتابة في هذا الموضوع لسببين : أولهما أنه جواب سؤال هام ، ويتناول موضوعا محببا الى نفسي ، وثانيهما أنها أتاحت لي فرصة التذكير والاشادة بفضل آبائنا العرب من قديم على التاريخ والدراسات التأريخية .

قبل هذا السؤال يوجد سؤال آخر : هل التاريخ علم ، أو فن ، أو تسلية ، أو خرافة ..؟

بجميع المتناقضات قيل في الإجابة على كل سؤال من هذه الأسئلة ، فهو عند البعض علم أو فن لا بد منه لحضارة البشر ، وهو عند البعض « أقل من العلم بكثير » ، وعند البعض تسلية لازجاء الفراغ و « قتل » الوقت ، كما يقال ، والخروج من السأم ، وعند البعض خرافة لا أصل لها ولا حقيقة وراءها ولا جدوى من الاشتغال بها .

يقول الأستاذ هرنشو في كتابه « علم التاريخ » – بعد تحديده لمفهوم العلم – : (.. ان التاريخ ، بما للطبيعة البشرية من خصائص ثابتة ، وبما للإنسان من سلطان دائم على البيئة الجغرافية ، يقوم على أصول تضارع في قيمتها على أقلّ تقدير ذرّات الكيماوي الغامضة وألكترونات الفيزيقي الروّاغة . (كما يقول :) من أي أنواع العلوم يعتبر التاريخ ..؟ إنه ليس كالفلك علم معاينة مباشرة ، ولا كالكيمياء علم تجربة واختبار ، ولكنه علم نقد وتحقيق . أقرب العلوم الطبيعية شبها به : الجيولوجيا . فكما أن الجيولوجي يدرس الأرض كما هي الآن ليعرف ، إذا أمكنه ذلك ، كيف صارت إلى حالتها الحاضرة ، فكذلك المؤرخ يدرس الآثار ليفسّر بواسطتها وبقدر امكانه ظاهرة الحاضـر .)

والأستاذ هرنشو – هو أستاذ التاريخ في جامعة لندن – يسمي التاريخ « سجل العصور » . وندرك ، لأول وهلة ، أنه وان عرض في مقدرة ولباقة ، آراء خصوم التاريخ ، فإنه من مقدّريه والمؤمنين به « علما » ، حتى نجده يسميه في عنوان كتابه « علم التاريخ » .

ويقول الدكتور بري – أشهر مؤرخي انجلترا في أوائل هذا القرن وأستاذ التاريخ الحديث في جامعة كمبرج – ان (التاريخ علم لا أكثر ولا أقل . أما رجال الأدب فيرون أن التاريخ – سواء أكان علما أم غير علم – فهو لا ريب فنّ من الفنون ، وأن العلم ، بالغا ما بلغ ، لا يعطينا من التاريخ سوى العظام البالية .) ولا يكسوه الحياة سوى خيال الشاعر ومقدرة الكاتب ، فهو عند رجال الأدب فوق العلم بكثير .

والكاتب الإيطالي الكبير « بندتو كروتشي » يقول : (ان كل من يحمل ، بحق ، لقب مؤرخ هو فيلسوف ، أراد ذلك أم لم يرد .)

ومن قبل الكاتب الإيطالي الكبير قال مواطنه الروماني القديم « تيوسيديد » : (إن التاريخ هو تعليم للفلسفة بضرب الأمثال) .

وفيلسوف المؤرخين العرب « ابن خلدون » يقول ان التاريخ (فن عزيز المذهب) – مع ادراكنا أن تعريف « الفن » مصطلح جديد تحدّد بعد عصر ابن خلدون . ومؤرخنا العربي المعاصر الدكتور محمد صبري يرى أن : (التاريخ علم وفن بمعالمه ، ومن السهل ابراز عمل فني جليل في اطار تاريخي صحيح) فهو عنده علم وفن معا ، ويمكن استخدامه في عمل فني ذي قيمة ، مع المحافظة على صدقه .

ويقف الفلاسفة الطبيعيون في الطرف المقابل ، فهم يرون أن التاريخ دون العلم بكثير . فهو يتناول مادة غير ثابتة ولا محدّدة . ويقول الاقتصادي المنطقي الانجليزي الأستاذ « جيفنز » انه : (من السخف اعتبار التاريخ علما بالمعنى الصحيح) .

° ° °

وخصوم التاريخ هؤلاء ، يجدون مآخذ كثيرة لها وجاهة يأخذونها عليه .. من أبرزها وأشهرها ذلك المثل الذي ذكره الأستاذ « هرنشو » : فهو يذكر من تاريخ العالم المعاصر أن رسولين من قبل حكومة روسيا قدما إلى انجلترا في عهد وزارة « لويد جورج » وزارا مجلس العموم ليسمعا خطابا فيه عن مشكلة بولونيا ، وصدرت أربع صحف مساء اليوم الذي جرت فيه الزيارة فكان وصف

كل واحدة منها مغايرا ، بل مناقضا ، لوصف الأخرى . وقد أورد ما وصفها به كل واحد من مندوبيها نقلا عن صحيفته فكان الوصف (متضاربا بحيث لا يمكن التوفيق بينها) مع أن كل مندوب من مندوبي الصحيفة كان قد حضر الجلسة ، وشهد الضيفين ، وسمع الخطبة .

ولكن الحقيقة التي يدركها المتأمل من ايراد الأستاذ « هرنشو » هذا المثل هي ضرورة التحري للمؤرخ وضرورة التثبت والموازنة قبل الانتهاء إلى رأي .

وذكر الدكتور محمد صبري مثلا آخر عن المؤرخ المعاصر « أميل لدويج » ، مؤرخ « تأريخ النيل » وتأريخ البحر الأبيض المتوسط ، و « نابليون » و « بسمارك » وغيرها ، وهو من أعظم المؤرخين المعاصرين بل أعظمهم جميعا ، ذكر الدكتور – وهو صديق لدويج – أنه التقى به وأطلعه على تجارب كتابه عن « تاريخ النيل » بالألمانية فصعق الدكتور صبري من (هول بعض أخطائه) كما يقول . وذكر منها مثلا بارزا عن « كرومر » ، المعتمد البريطاني المشهور في مصر ، وعن حادثة دنشواي ، وهي حادثة من أشهر وأبرز الحوادث في تاريخ انجلترا ومصر ، ومع ذلك أخطأ فيها لدويج خطأ فاحشا .

ولم تخل الثقافة العربية من التهجم على التاريخ واستنقاص شأنه وشأن المؤرخ حتى يقول « السمعاني » – توفي عام ٥٦٢ هـ – : (ويقال لمن يروي الحكايات والقصص والنوادر : الأخباري) . وفي رد هذا التهجم وغيره ألف المؤرخ العربي « السخاوي » كتابه : (الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ) .

على أن التاريخ ، علما أو فنا أو تسلية أو غير ذلك ، قد رسخت أقدامه : (ووضع نفسه على قدم المساواة مع بقية العلوم التي تحاول أن تجلو لعقل الإنسان معاني الأشياء كما هي) . كما يقول ، بحق ، الأستاذ « هرنشو » .

وفي عصرنا الحديث لا يزال التاريخ محتاجا لمن يدافع عنه ، كما رأينا عند الأستاذ « هرنشو » ، وعند الأستاذ الأميركي « نيفنز » الذي ألف كتابا خاصا سماه : « دفاع عن التاريخ » .

التاريخ عند العرب

في « لسان العرب » : (التأريخ ، بالهمزة ، تعريف الوقت ، ومثله التوريخ . أرخ الكتاب ليوم كذا .. وقته) .

فإذا قلت ، مثلا ، أن النبي محمد ، عليه السلام ، ولد في سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح ، أو أن الحرب العالمية الثانية بدأت في اليوم الثاني من سبتمبر : « أيلول » سنة ١٩٣٩ فهذا هو التأريخ أو التوقيت : « تحديد الوقت » . واذا كتبت تاريخ عمر بن الخطاب ، مثلا ، أو هارون الرشيد أو عصر المأمون فهذا هو التاريخ « بدون همزة » .

وموضوع التاريخ – كما قال المؤرخ السخاوي – : (الانسان والزمان) أو هو ذكر الأخبار الخاصة بعصر أو جيل ، والأحوال العامة للآفاق والأجيال والأعصار) . كما يقول ابن خلدون(١) .

والعرب من أوائل الأمم التي أدركت قيمة التاريخ وأسهمت فيه بقدر كبير من المؤلفات والحقائق والجهود . وهذه الحقائق التي نوردها عن اهتمام العرب به وادراك قيمته تتضمن طرفا غير يسير من الاجابة عن السؤال موضوع المقـال .

فعرب الجاهلية ، الذين كانت الأمية تغلب عليهم ، سجلوا تواريخهم ومفاخرهم وأيامهم عن طريق الشعر ، وأهل اليمن والحيرة سجلوا على أبنيتهم ، بالخط المسند وغيره ، أخبار ملوكهم وأحوال بلادهم ، وحفظ كثير منها في كنائس الحيرة وديورتها ، وكان ذلك سببا في عنايتهم بالنقش والكتابة .

والتاريخ – كما وصفه ابن خلدون – (يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم ، والأنبياء في سيرهم ، والملوك في دولهم وسياستهم ، حتى تتم فائدة الإقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيـا .

وكان بعض الدهاة من ملوكهم – كمعاوية والمنصور – يهتمون اهتماما كبيرا بالتاريخ ويشجعون على تأليفه ليعرفوا : (أعمال الملوك وسياستهم لحفظ ممالكهم) . وهم في ذلك يشتركون في الرأي مع « كونفشيوس » – حكيم الصين وفيلسوفها القديم – الذي كان يرى أن حب التاريخ ودراسته وفهمه من شروط الحاكم الصالح واستقرار حكمه .

ومن أبرع ما عرّفوا به كلمة التاريخ أنها مقلوب المقطع الأخير من كلمة « التأخير » ، أن من يعرف التاريخ يستطيع أن يستشرف العواقب وأن يعرف أواخر الأمور ونهاياتها وغاياتها . فهو درس واعتبار يفيدون منه للحاضر والمستقبل – كما أشار ابن خلدون – ولعل ذلك كان مقصودا له حين سمى مقدمته للتاريخ : « العبر وديوان المبتدى والخبر » . وفي ذلك يقول ابن دريد في مقصورته الرائعة :

من لم يعظه الدهـر لم ينفعه مـا
راح بـه الواعـظ يومـا أو غدا

ويقول شاعرنا العربي :

ومـن وعى التاريخ فـي صـدره
أضـاف أعمـارا إلـى عمـره

والأمم في ذلك كالأفراد . وهو ، عندهم وعند غيرهم ، ملهم الشعراء ، يستمدون منه المفاخر لشعرهم والوقائع والأمجاد لأنفسهم ، والأهاجي لخصومهـم .

يقول الشريف الرضي :

تصـف الـدار لنـا قطّانهـا
والمعالـي ، والمساعي ، والنّجارا
وإذا لـم تدر مـا قـوم مضوا
فـاسأل الآثـار عنهـم والديـارا

وكان التاريخ خادما للحديث وسندا من أسناده ، فنحن نعرف من شرط « البخاري » لصحة الحديث أن يوجد الراوي والمروي عنه في زمن واحد ، وأن يمكن التلاقي بينهما ، وأن يقع هذا التلاقي فعلا . ونعرف من شرط « مسلم » المعاصرة وامكان التلاقي . ولا يمكن أن يعرف ذلك إلا « بالتاريخ » .

وهم يبتكرون في تنويعه وتخصيصه : فهناك تأريخ الرجال ، كما نجد في « الاصابة » و « أسد الغابة في معرفة الصحابة » . وهناك التأريخ العام ، كما نجد عند « الطبري » و « ابن الأثير » في تأريخهما للدول والملوك والوقائع . وهناك التأريخ للمدن ورجالها كتاريخ بغداد ومكة ودمشق والقاهرة والأندلس . والتأريخ للأطباء ، وأهل الحكمة ، كما نجد عند « القفطي » في « أخبار العلماء بأخبار الحكماء » . والتأريخ للأغاني خاصة ، كما نجد عند « أبي الفرج » في كتابه العظيم « الأغاني » ، الذي يشمل ، إلى جانبها ، كما نعرف ، كثيرا

---

١ – هذا يتفق والتعريف الأوربي الحديث الذي يقول بأن تعريفه هو : (التدوين القصصي لمجرى شؤون العالم ، كله أو بعضه) .

جدا من تاريخ الأدباء والشعراء وغيرهم ، ومرويات الشعر والقصص ، ويرسم إلى حد كبير صورة دقيقة لحياة العرب الاجتماعية في جاهليتها واسلامهـــا .

وهناك التأريخ للثقافة ، كما نجد « البيروني » في كتابه العظيم : « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة » الذي يؤرخ فيه للحياة العقلية والدينية للهند في عصورها القديمة . والتأريخ للعقائد والآراء ، كما نجد عند « ابن حزم » في كتابه « الفصل في الملل والأهواء والنحل » ، وعند « الشهرستاني » في « الفرق بين الفرق » .

وهناك التأريخ لموضوع خاص كما فعل « الكندي » في كتابه « الأصنام » وكما فعل « حاجي خليفة » في « كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون » . والتأريخ لطائفة خاصة مثل « نكت الهميان في نكت العميان » للصفدي أو « نزهة الالبا في طبقات الأدبا » – أي النحاة – للسيوطي . وهناك تاريخ الخطط والأماكن ، كما فعل « المقريزي » و « علي مبارك » .

والتأريخ للعلماء من جنس معين كما نجد في « الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية » لقاضي استانبول « أحمد طاشكبري زاده » .

وقد تفننوا في موضوعاته وتصانيفه فألفوا في الرجال الذين ينتسبون لأمهاتهم ، وفي النساء اللاتي طلقهن أزواجهن ثم عدن إلى عصمتهم مرة أخـــرى .

بل ان الترجمة للذات ، التي يظن أنها فن غربي مستحدث ، نجد للعرب فيه سبقا . فقد وضع الفارس الشاعر « أسامة بن منقذ » – صديق صلاح الدين وشريك حروبه – كتابه « المنازل والديار » وضمنه ترجمة نفسه . كما سجل بعض سيرته في كتابه « الاعتبار » . وكذلك فصل الغزالي بعض سيرته وشؤون حياته في كتابه « المنقذ من الضلال » .

وكان من عناية العرب بالتاريخ وتوثيقهم له ، أنهم ، في بدء تسجيله كانوا يروون أخباره ، ويكتبونها ، في سلسلة رجال فيقولون : روى فلان عن فلان ، عن فلان ، كما يفعلون بالحديث النبوي الشريف . ففي مجال التاريخ نجد المسعودي العربي يعرض في كتابه « مروج الذهب » عرض خبير ماهر تاريخ و « أتنغرافية » آسيا وشمال افريقية وشرق أوربا .. الخ . والعرب هم أيضا أول من كتب في فلسفة التاريخ والاجتماع وتاريخ التاريخ . هكذا يسجل الأستاذ « هرنشو » فضل العرب على التاريخ . ويذكر المستشرق الكبير « جب » تفوق العرب في دراساتهم التاريخية ثم يقول « ان نبوغهم الحقيقي في علم تدوين التاريخ يتجلى في كتابة السير أكثر من تجليه في رواية الأخبار) .

ويقول المؤرخ الانجليزي الكبير بـكـل (إن توقيت التاريخ بالسنين والشهور ، الذي كان يعرفه العرب ، لم يعرف في أوربا قبل عـــام ١٥٩٧) .

بل ان العرب ، عناية منهم بالتاريخ وادراكا لقيمته ، كتبوه سجعا ، كما فعل « العماد الأصفهاني » ، وكتبوه شعرا ، ليسهل حفظه كما فعل المؤرخ المصري « ابن عبد الظاهر » – توفي سنة ٦٩٢ هـ – في تأريخه للسلطان « بيبرس » .

° ° °

أي قدر من المعرفة والثقافة والمتاع الذهني والروحي تفقده البشرية إذا لم يكن قد سجل التاريخ .؟

أليس كتاب « الموتى » المقدس عند قدماء المصريين ، أوليست الياذة هوميروس وأبطال بلوطرخس وجمهورية أفلاطون وغيرها وغيرها من الشوامخ والعمد التي قامت عليها الآداب العالمية قديما وحديثا ، أليس ذلك كله من التاريخ ..؟

ألسنا نجد كتبا خالدة في الفلسفة والآداب العالمية والعربية ، مثل : مجالس سقراط ، وهنري الثامن ، وروميو وجولييت ، وغيرها من مسرحيات شكسبير ، وروايات تاريخ الإسلام لجورجي زيدان ، ألسنا نجد ذلك كله وكثيرا غيره قائما على التاريخ مستمدا من سجلاته وحقائقه ..؟

كيف نعرف ماضي قومنا وثقافتهم وحياتهم لو لم نجد أمامنا كتبا مثل تاريخ الطبري وابن الأثير وفتوح مصر والمغرب والأندلس ، وتاريخ بغداد ودمشق والجزيرة العربية واليمن ومعجم البلدان ووفيات الأعيان والمغرب والمعجب في أخبار المغرب والخطط والسلوك ورسوم دار الخلافة والنجوم الزاهرة والأغاني وعشرات بل ومئات غيرها من كتب التاريـــخ ..؟

ولكيف نعرف تاريخ العالم وثقافاته ، لو لم يؤلف المؤلفون من الكتب أمثال : « قيام الامبراطورية الرومانية وسقوطها » لجيبون ، أو « خلاصة تاريخ العالم » لويلز ، أو « قصة الحضارة » لديورانت وعشرات غيرها ..؟ أو لم يسجل التاريخ تلك الخطوات المثابرة المقتحمة التي خطاها الآباء والأجداد – آباء البشرية وأجدادها – في الكشوف والاختراعات من اختراع النار إلى صواريخ الفضاء .

لولا « أبو التاريخ » : « هيرودت » وتاريخه عن الصراع بين اليونان وفارس ومعارك سلاميس وبلاتي وغيرها ما أدركنا قيمة ذلك الصراع بين مدنيتين ، احداهن شرقية والأخرى غربية ، وأسباب الهزيمة والنصر لهما فنفيد من ذلك للحاضر والمستقبل .

° ° °

قد يكون من مساوىء التسجيل التاريخي مثلا لبعض الآراء وبعض الوقائع أن ثارت حروب كثيرة ، كلها شر ، بين أبناء البشرية بل أبناء العقيدة الواحدة ، كما حدث في القرون الوسطى بين أتباع الكنائس المختلفة ، وكما حدث بين أصحاب المذاهب والفرق المختلفة مـــن المسلمين ، ولكن ذلك لا يحسب على التاريخ بل أكثر أسبابه النزعات الفردية وروح الخصومة التي كانت قائمة مستقرة في نفوس الناس وضمائرهم لتلك الفترات الخاصة من حياتهم . ولو لم يدون التاريخ ، ولو لم يعرفه هؤلاء المتخاصمون لوجدوا لخصومتهم أسبابا أخرى ومبررات كثـــيرة .

ومثل ذلك يصدق على الخصومات السياسية والقومية التي ثارت بسببها حروب كثيرة منذ فجر التاريخ إلى الحرب العالمية الأخيرة ، فإن دعاتها وموقدي نارها وأصحاب المصلحة فيها كثيرا ما يستخدمون التاريخ لإشعالهـــا .

التاريخ للإنسانية

في القرن التاسع عشر زاد الاهتمام بالتأريخ ، ادراكا من المفكرين لقيمته ولأسباب أخرى منها أن التنقيب عن الآثار كشف حقائق هامة كثيرة عن العالم القديم أثارت كثيرا من الاهتمام وأعطت للتاريخ كثيرا

من الحرية والجدوى والتشويق ، ومنها الاتجاه إلى تأريخ الظواهر الاجتماعية وحياة الشعوب والانسان العادي بعد أن كان اهتمام المؤرخين قاصرا على الغزوات والحروب والأسر .

وهذه النزعة الجديدة أبرزت فائدة جديدة كبرى للتاريخ : هي اشعارنا — نحن البشر — بأننا أبناء عالم واحد ، نعيش في وطن واحد كبير هو العالم . وكان من طلائع هذا الفهم البار للتأريخ كتاب ويلز « خلاصة التاريخ » الذي نزع فيه منزعا بشريا ، فعرض فيه أهم أحداث العالم منذ كونت الأرض إلى الآن ، ولم يبرز فيه تاريخ وطنه : انجلترا ، ولم يميزه عن غيره من البلاد .

والعناية الجادّة بدراسة التاريخ في القرنين الأخيرين أوجدت تفاسير كثيرة لأحداثه ، فنحن نعرف الآن « التفسير الاجتماعي » للتاريخ و « التفسير الجغرافي » و « التفسير الاقتصادي المادي ». ونعتقد أنها جميعها ، مثل الجداول للنهر ، تصبّ كلها في مصب واحد وتنتهي إلى غرض مشترك هو « البشرية الإنسانية للتاريخ » .

سجل التاريخ ومدرسة السياسة

كانت آخر وصية أوصى بها « نابليون » ولده هي : (دعوا ولدي يدرس التاريخ دراسة عميقة واعية ، ويتدبّر حوادثه ووقائعه ، فإن هذه الدراسة — دون سواها — هي الفلسفة الحقة .)

وقد رأينا « كونفشيوس » — حكيم الصين وفيلسوفها القديم — يجعل من شروط الحاكم الناجح أن يكون عارفا بالتاريخ .

وكانوا يقولون : التاريخ ذاكرة الشعوب ، وسجل العصور ، وأن دراسته — كما قال الأستاذ ألن الانجليزي — تنشّط الفكر وتفتقه وتساعده بطرق شتى . وأنها (أصلح الدراسات لتعويد الانسان الفضائل الخاصة والعامة) . وأنه ، كما قال الأستاذ « ديفيد هيوم » — وهو من أحسن ما كتب في قيمة التاريخ — (.. إذا تأملنا قصر حياة الإنسان ، ومعرفتنا المحدودة حتى بما يقع في زماننا ، فلا شك أننا نشعر بأننا كنا نبقى أطفالا في ادراكنا لو لم يقيّض لنا هذا الاختراع الذي يرجع بخبرتنا إلى جميع العصور الماضية ، والى أقدم الأمم الخالية ، ويجعلها تمدنا بأسباب التقدم في الحكمة كما لو كانت تحت أنظارنا وأسماعنا . ان الرجل المطلع على التاريخ ليمكن أن يقال عنه من بعض الوجوه أنه يعيش منذ بداية العالم ، وأنه دائم الاستمداد من كل مملكة يمرّ بها مددا يضيفه إلى المدّخر من معارفه) .

واذا أردنا أن نقتبس ونستشهد بما قيل في قيمة التاريخ وفائدته نجد حشدا كبيرا من الأسانيد نحن في غير حاجة له بعد هذا الذي قلناه .

ولكننا نذكر ، في ختام مقالنا هذه الحقيقة عن بطل من أبطال « التاريخ » هو « جورج واشنطن » أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية ، فقد أرسل — بعد انتهاء الثورة — يطلب من انجلترا مكتبة صغيرة على أن تضم من كتب التاريخ هذه الكتب : (١) تاريخ أمريكا ، (٢) تاريخ شارل الخامس ، (٣) تاريخ شارل الثاني عشر لفولتير ، (٤) مذكرات السياسي الفرنسي رسللي والسّير التي كتبها عن حياة القيصر بطرس الأكبر ، ولويس الخامس عشر ، وجوستاف أدولفوس ، وتواريخه عن روما والبرتغال .

أبعد هـذا يقال : لا جدوى من التاريـخ ؟



من تراث العرب

من وصايا الآباء للأبناء

قال عبد الملك بن صالح يوصي ابنه وهو أمير سرية في بلاد الروم : « أنت تاجر الله لعباده ، فكن كالمضارب الكيس الذي إن وجد ربحا تاجر والا احتفظ برأس المال . ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة . وكن منّ احتيالك على عدوك أشد خوفا من احتيال عدوك عليك » .

ضياع

قال أعرابي لأبي بكر الصديق رحمه الله : إذا كان الرأي عند من لا يقبل منه ، والسلاح عند من لا يستعمله ، وكان المال عند من لا ينفقه ، ضاعت الأمور .

مديح

قال أعرابي يمدح قوما : « هم قوم أدبتهم الحكمة ، وأحكمتهم التجارب ، ولم تغررهم السلامة المنطوية على الهلكة ، ورحل عنهم التسويف الذي قطع الناس به مسافة آجالهم ، فأحسنوا المقال وشفعوه بالفعل » .

الابن البار

قيل لأحدهم : كيف بر ابنك بك ؟

فأجاب : ما مشيت نهارا قط إلا مشى خلفي ، ولا ليلا إلا مشى أمامي ، ولا ارتقى مكانا عاليا وأنا تحته » .

الأفضل

قال الجاحظ : « الصبر صبران ، فأعلاهما أن تصبر على ما لا ترجو فيه الغنم في العاقبة ، والحلم حلمان ، فأشرفهما حلمك عمن هو دونك ، والصدق صدقان ، فأعظمهما صدقك فيما يضرك ، والوفاء وفاءان ، فأسناهما وفاؤك لمن لا ترجوه ولا تخافه » .

الدكتور محمد مندور

وآراؤه في الثقافة والإعلام

للدكتور جمال الدين الرمادي

فقد العالم العربي منذ شهور أديبا كبيرا، وعلما من أعلام الأدب في العصر الحديث، ورائدا من رواد النقد هو المرحوم الدكتور محمد مندور.

ويعتبر محمد مندور من الأساتذة المعلمين الذين كان لهم فضل كبير في تنشئة جيل من الشباب الذين أسهموا بنصيب موفور من الحركة الأدبية المعاصرة. وقد عاش طوال حياته مكرسا جهوده وقلمه لخدمة الفن والقضايا الأدبية والمسرحية، ولا يخشى في سبيل الحق لومة لائم فكان موضع تقدير الأدباء والنقاد لقوة بيانه وسعة اطلاعه ونصاعة حجته ومرارة سخريته. وقد كان مندور رائدا من رواد المقالة وكاتبا لا يطاول، وأديبا لا يصارع، وصحفيا لا ينازع في هذا المضمار إذا ما أردنا أن نقيم مقالاته ونضعها في موضعها الصحيح من المقالة الصحفية في العصر الحديث.

ولم يكن مندور رجل الكتاب الواحد، انما كان بحرا فسيحا من العلم والمعرفة وحقلا خصيبا من الثقافة والفن. كتب في النقد المنهجي عند العرب فغاص إلى كنوز الأدب القديم وجلا لنا آراء ابن قتيبة، وابن رشيق، وقدامة بن جعفر، والجرجاني، والآمدي، وغيرهم من أعلام الأدب العربي القديم في صور خلابة واطار جميل، وعرض لنا آراءهم في الشكل والمضمون والعبارة والمعنى في بيان مشرق وأسلوب مبين، ووضح آراء النقاد في شعر المتنبي وما كان يكتنفه من غموض وأبهام، وفي شعر أبي تمام وما كان يتسم به من معان بعيدة وتشبيهات مبتكرة، وفي شعر البحتري وما كان يتصف به من جرس حلو، وأداء رخيم وموسيقى عذبة.

ومضى مندور يتنقل بنا في كتابه «النقد المنهجي عند العرب» بين مختلف المذاهب الأدبية القديمة في النقد، وما دار حول فحول الشعر العربي القديم من معارك أدبية دونت فيها عشرات الكتب ومئات الصفحات.

وكتب مندور في الأدب الحديث ودرس المذاهب الأدبية والاتجاهات الشعرية بعد شوقي أمير الشعراء، كما وضح الاتجاهات الأدبية التي سادت الأدب منذ وفاة شوقي حتى عصرنا هذا، وتعرض لاتجاهات الشعر الحديث عند العقاد والمازني وعبد الرحمن شكري وغيرهم.

وفي كتاب آخر عن الشاعر «خليل مطران» وضح مندور دور هذا الشاعر الكبير في بناء الشعر العربي الحديث، وما أضافه إلى الشعر من اتجاهات رومانسية شاعت في خيالاته ومعانيه، واتضحت في أغراضه وفنونه، وما أضافه إلى المسرح من ترجمات رفيعة عن الأدبين الانجليزي والفرنسي مثل مسرحيات تاجر البندقية وعطيل وهاملت لشكسبير، وهرناني لفيكتور هيجو وسنالكورني وبيرنيس لراسين.

وكتب مندور «الميزان الجديد» وهو مؤلف نقدي تعرض فيه لبعض القضايا الأدبية والنقدية كالشعر المجهور والشعر المهموس، ورغم أن الموازين مهما اختلفت أنواعها فهي تؤدي الغرض منها في أمانة ودقة، سيان في ذلك موازين الذهب، وموازين الحديد، وسيان في ذلك الأنواع القديمة، أو الأنواع الجديدة، فالمعول في الميزان على الدقة في الصنع والبراعة في الأحكام.

رغم هذا كله فإن مندور حمل الميزان الجديد في يديه ومضى يزن القضايا الأدبية في دقة تامة وأمانة وافية، لا يطفف ولا يعرف التطفيف، وأحدثت آراؤه الأدبية صدى فكريا في الدوائر الأدبية والأوساط الفكرية.

وتتضح ثقافة مندور الأوروبية فيما ترجم من أعمال أدبية كبيرة مثل «ليالي الفريد دي موسيه»، وكتاب «دفاع عن الأدب» للكاتب الفرنسي جورج ديهاميل، عضو الأكاديمية الفرنسية. وقد نقل مندور آراء جورج ديهاميل مخلصا إلى الأدب في عبارة مشرقة مضيئة ليس فيها غموض الترجمة وليس فيها تعسف اللغة.

ومن يرجع إلى مقالات «مندور» التي نشرها في الصحف والمجلات منذ صدر شبابه حتى سنوات شيخوخته، يلاحظ تلك الروح الشعرية التي تخفق بين السطور وتشيع في الكلمات وتتراءى في كتابه «ميزان النقد» وغيره من الكتب.

وقد كان مندور كغيره من الكتاب يفرق بين الثقافة والاعلام . فالثقافة ، في رأيه ، هي الزاد الفكري الذي يفسح مدارك الشخص وينمي ملكاته ، ويغذي مواهبه ، ويخلق منه مواطنا صالحا في المجتمع الذي يعيش فيه . أما الأعلام فتختلف عن الثقافة والدعاية ، في جوانب عدة منها أن الاعلام هو سرد الحقائق والوقائع دون تبديل وتغيير أو تحريف ، ويكون هذا السرد إما بالنشر أو بالاذاعة أو بالتلفزيون . ومن هنا كان الاعلام توضيح الوقائع وتفسيرها بالحقائق والأرقام . وتأثير الاعلام وقتي يزول بزوال المؤثر الموجب للاعلام على عكس من الثقافة التي يدوم أثرها ويطول بقاؤها .

والاعلام يشبه الدعاية في التأثير الوقتي ، لأن الدعاية هي العمل بكل الأساليب والوسائل لتأييد فكرة أو عقيدة معينة ، وهنا نجد الغاية تبرر الواسطة لدى رجل الدعاية فيمكنه أن يحرف أو يغير الحقائق والوقائع بل أحيانا يلجأ إلى أسلوب التهييج والإثارة طالما كان ذلك يؤدي إلى تحقيق هدفه وهذا ما لا يلجأ إليه رجل الاعلام بأي حال من الأحوال .

كان مندور يفرق بين الاعلام والثقافة ولكنه يعتقد بأن الأجهزة جميعا ينبغي أن تؤدي رسالتها لخدمة المواطنين دون كلال أو ملال ، ويرى أن أجهزة الاعلام على اختلاف أنواعها يمكن أن تخدم الثقافة خدمة جليلة . والثقافة عند مندور ليست التعليم الذي يتلقاه بعضنا في المدارس والمعاهد أو الجامعات لأن هذا التعليم ما هو إلا الأساس أو الوسيلة للثقافة التي نبغيها لمواطنينا كعلاج ناجح للكثير من مواطن الضعف الكامنة فيهم .

ويقول مندور إننا لحسن الحظ نعيش في عصر تقدم فيه العلم تقدما عظيما ، وأصبح العالم الحاضر يملك أجهزة حديثة للثقافة منها : الكتاب المطبوع ، والصحف ، والمسرح ، والسينما ، والإذاعة والتلفزيون .

والكتاب المطبوع لا يزال يعتبر في هذا العالم كله الوسيلة الأولى للتثقيف الحق ، وذلك لأن الكتاب هو مستودع الثقافة الجديدة العميقة ، كما أنه الوسيلة المواتية للتثقيف بمعناه الصحيح لأنه بفضل عمقه وقوة أبحاثه يصبح وسيلة يستعين بها القارىء على التفكير الأصيل والثقافة الحقة ليست في النهاية إلا تحقيق القدرة على فهم الناس والأشياء فهما صحيحا والحكم عليها حكما سليما .

وغير خاف أن معرفة عدد من البلاد العربية لفن الطباعة كان من أقوى العوامل في بعث الثقافة العربية القديمة ، وترجمة روائع الأدب الأوروبي إلى اللغة العربية . ومن المؤكد أنه لولا وجود بعض المطابع العربية في القرن الماضي لما استطعنا الوصول إلى ما وصلنا إليه من تقدم فكري في القرن الحالي .

وقد اخترع الإنسان الكتاب ليخفف الحمل عن الذاكرة . والذاكرة عرضة للخطأ فقد يثقلها الحمل وقد تتعثر ، ثم انها تنحط في النهاية ، وتصير مع الانسان إلى صمت الفناء .

وكل مكتبة هي قبل كل شيء مجموعة وسائل ومناهج ، وهي أداة ثمينة من أدوات الثقافة الرفيعة . وهي المكان الجليل الذي يحتفظ فيه الرجال بتاريخ تجاربهم واكتشافاتهم ومشروعاتهم ، وهو يقصد بذلك تاريخ الشعوب حينا ومغامرات الأفراد حينا آخر وتاريخ الأعمال طورا وتاريخ الأفكار طورا آخر .

غير أننا نلاحظ أن الكتاب المطبوع أخذ يتعرض في الفترة الأخيرة لمنافسين خطيرين . وكان أول منافس هو الصحف والمجلات . وكانت الصحف عند أول ظهورها اخبارية بحتة ينشر بواسطتها الحكام والأمراء على رعاياهم ما يصدرون من قوانين وقرارات ثم أخذ مجالها الإخباري يتسع شيئا فشيئا ليسجل كافة الأخبار السياسية والاقتصادية والاجتماعية المختلفة . كما كانت في أول أمرها مرتفعة الثمن نسبيا وبالتالي قليلة الإنتشار إلى أن اهتدى صحفي فرنسي إلى فكرة نشر الإعلانات التجارية في الصحف فكان هذا أكبر حدث في تاريخ الصحافة إذ مكنها بفضل ما يدر عليها من كسب من تخفيض ثمن بيعها وبالتالي من زيادة انتشارها كما مكنها ذلك من التوسع في مجال نشاطها وأن تضيف إلى مهمة نشر الأخبار مهاما أخرى خطيرة ، كنشر الثقافة وتوجيه الرأي العام .

وقد قام مندور بدور كبير في نشر الثقافة عن طريق الصحف والمجلات بما كان يدبجه من مقالات عديدة ، ودراسات مستفيضة ، وأبحاث وفيرة . وقد ساهم بدور ايجابي في الحركة المسرحية والنقد المسرحي الخلاق ، وكانت الدوائر الأدبية والفنية تقدر مدى نجاح مسرحية من المسرحيات على خشبة المسرح بمقدار ما يحمل لها قلم مندور من اعجاب وتقدير . كما كان المؤلفون الجدد يتطلعون إلى آرائه بلهفة كبيرة وشوق عظيم ، ويستفيدون من نقد شيخ النقاد استفادة كبيرة فيستأنفون العمل من جديد بروح ماضية وعزم وثاب .

وكان المخرجون المسرحيون والممثلون والفنيون بل كان جميع العاملين في المسرح يترقبون نقد مندور كلما أخرجوا عملا فنيا جديداً لأنه كان يلم بشتى فنون المسرح إلماما كبيرا جعله محط اعجاب الجميع .

وقد عشق مندور المسرح عشقا عظيما ، وكان يعتبره أداة رفيعة من أدوات الثقافة في العصر الحديث ، وقد تتبع تطوراته منذ عهد الإغريق حتى يومنا هذا .

ويقول إن اهتمامنا اليوم بالمسرح امتداد لاهتمام القدماء به ، فالإغريق كانوا يفتحون أبوابه مجانا للشعب ، ويحيطونه بهالة من التكريم ، بل كانوا يمنحون المتفرجين على المسرح مكافآت سخية نظير عكوفهم على متابعة أحداثه والانصراف عن أعمالهم والاشتغال بقضاياه .

إلا أن مندور يرى أن هذه الأداة من أدوات الثقافة لم يعرفها العرب ، وأن أساطيرهم الوثنية وغير الوثنية لم تتخذ قط صورة المسرح أو الأدب التمثيلي ، كما أنهم لم ينقلوا هذا الفن عن اليونان في عصر الترجمة كما ترجموا الفلسفة مثلا ، وذلك لأن المسرح اليوناني كان وثيق الصلة بالوثنية ولم يرتح العرب إلى ذلك .

وقد أساء شراح أرسطو فهم التراجيديا عندما ترجموه بفن المديح ، والكوميديا عندما ترجموه بفن الهجاء على أساس أن التراجيديا فن جاد يشيد بالبطولة ، والكوميديا فن ضاحك يسخر من العيوب والمثالب . حتى ان الفيلسوف ابن رشد أجهد نفسه في البحث عن قصائد المديح وقصائد الهجاء العربي للتدليل على وجود فن التراجيديا أو الكوميديا عند العرب .

ومن رأي محمد مندور أن من السخف الزعم بأن «القراقوز» قد تطور فأصبح فن المسرح ، وأن خيال الظل تطور فأصبح فن السينما . ويرى أن المسرح فن جديد على حياتنا أخذناه من الغرب وقد ظل زمنا طويلا جدا دخيلا على حياتنا وتقاليدنا وآدابنا بل نابيا إن لم يكن محتقرا .

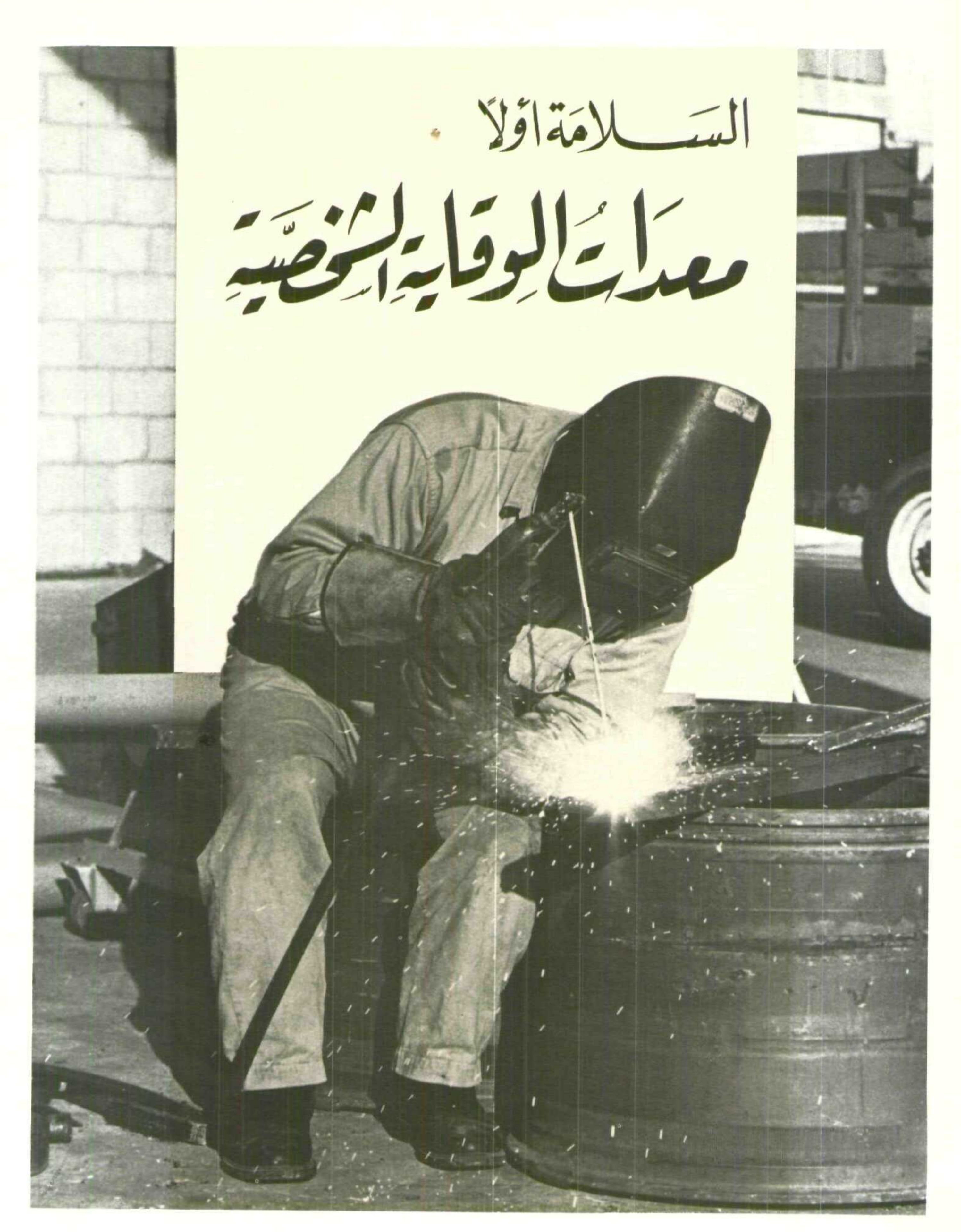
وهذه القضية التي أثارها مندور حول هذه الأداة من أدوات الثقافة التي طالما كتب فيها الكتاب وتعرض لها النقاد تحتاج إلى بحث طويل وأسانيد ثابتة وحجج دامغة . غير أن الشيء الجدير بالذكر في هذا المقام أن المسرح استخدم في العصر الحديث كأداة من أدوات الثقافة الرفيعة استخداما عريضا ، واستطاع أن يحمل للمشاهدين ألوانا مختلفة من المعرفة والثقافة الأصيلة .

ويقول مندور ان الإذاعة أصبحت اليوم أوسع جهاز تملكه الإنسانية لنشر الثقافة والفن ، وتوجيه الشعوب . فنحن قد نجد اليوم في العالم العربي قرية ليست بها مدرسة أو مكتبة ، أو لاتصلها الصحف والمجلات فضلا عن الكتب وليس بها طبعا مسرح ولكننا نشك في أن نجد قرية ليس بها جهاز للراديو .

ومن المؤكد أن حرمان القرى من وسائل الترويح والتثقيف وانعزالها عن الحياة الحضرية كان من العوامل الفعالة في انتشار جهاز الراديو في القرى ونجاحه بعد أن أخذت عدة أنواع من الفنون والآداب الفنية في التراجع والانقراض مثل منشدي الملاحم الشعبية على الربابة وخيال الظل والسامر والبرجاس وما اليها .

ومن هنا كان دور الإذاعة في خدمة الثقافة دورا فعالا ، ويمتد إلى نطاق واسع وينبسط على صعيد كبير ، فكان من المحتم اختيار المواد المناسبة لتثقيف الشعب وافساح مداركه وتنمية مواهبه ، وتسليته والترفيه عنه بوسائل بريئة وأساليب موجهة . كما قام التلفزيون بدور كبير في نشر الثقافة في السنوات الأخيرة في العالم العربي ، وبعد أن كان الراديو يخاطب الأذن فقط غدا التلفزيون يخاطب الأذن والعين معا ، فمن هنا كان من الضروري حسن انتقاء المواد الثقافية التي يقدمها لتؤدي الغرض المقصود منها في أمانة وكفاية .

ومن هنا كان من المحتم تقديم الفنون الإنسانية الرفيعة وتجويد المادة الثقافية المعروفة الكفيلة بتنشئة جمهور مثقف واع .



السلامة أولاً
معدات الوقاية الشخصية

لعل غريزة حب البقاء هي بلا شك الدافع الأساسي للإنسان في محاولاته دفع الشر عن نفسه منذ وجد على وجه هذه الأرض بطريقة مباشرة أو غير مباشرة . فقد استعمل أوراق الشجر مثلا لتقيه الحر والقر ، وانتعل جلود الحيوان لتقيه لسعات الهوام ، وهداه عقله المفكر الى استنباط الحراب والسهام وغيرها للذود عن عرينه حفاظا على نفسه وماله .

وتوالت السنون وتعاقبت الأجيال وتطور الإنسان وتطورت معه أدواته ومعداته حتى بلغ ما بلغه من تقدم في شتى الميادين . وتطورت الصناعة ، والزراعة ، والتجارة والانشاء وغيرها . ولا يخفى على القارىء ما يتخلل هذه الأعمال من مخاطر متنوعة . ولما كانت تلك المخاطر من الأهمية بمكان نظرا لما تسببه من آلام وما تجره من ويلات وخسائر في الأرواح والمال على العاملين في تلك الميادين ان استهانوا بها ، فقد اتجه رجال الأعمال ومهندسو السلامة وجهة جديدة للحد من الأخطار ومنع وقوع الحوادث بينهم ، ومعالجة المسائل معالجة جذرية استهدفت وضع القوانين والأنظمة والارشادات وكل ما من شأنه أن ينبه العامل إلى مكامن الخطر وحثه على اتباع تلك الأنظمة والتعليمات كشرط أساسي لتجنب الحوادث . ثم تزويده بمعدات الوقاية اللازمة لاتقاء الاصابات الناجمة عن مزاولة مهنته . وسنتحدث اليكم هنا عن معدات الوقاية الشخصية .

خوذة السلامة

لما كان الرأس من الأهمية بمكان بالنسبة للإنسان فقد استخدمت الخوذة الفولاذية في بادىء الأمر لوقايته عند المبارزة في القرون الوسطى وسرعان ما انتشرت تلك الخوذة وعم استعمالها في العالم حتى آلت الى الشكل الذي تعرفه الجيوش في عصرنا الحاضر . ومن هنا انبثقت فكرة استعمال الخوذة لوقاية الرأس في العمل مع فارق بسيط هو أن الخوذة الحربية مصنوعة من الفولاذ بعكس مثيلتها الصناعية التي تستعمل في صنعها معادن خفيفة كالألمنيوم والزجاج الليفي الممزوج بالبلاستيك والتي اصطلح على تسميتها باسم « خوذةُ السلامة » نظرا لما توفره للرأس من وقاية وحماية . وهي نوعان : الأول وله حافة ويستعمل لوقاية الرأس ، وجوانب الوجه ، والرقبة من الأجسام الساقطة والمتطايرة . والثاني لا حافة له ويستخدم لوقاية الرأس فقط . ولا يفوتنا القول بأن الصنفين يقاومان الصدأ والحوامض والحريق . والعناية بتلك الخوذة أمر ضروري لا غنى عنه إذ يجب فحصها كل شهر تقريبا وغسل عصابات العرق والأربطة واستبدال التالف منها لتبقى صالحة للاستعمال .

نظارات السلامة

إن وقاية العين من الاصابات أمر لا بد منه لأهمية هذا العضو . ومن هنا ظهرت الحاجة الماسة إلى وقاية العينين باستعمال أنواع مختلفة من النظارات الواقية . وكان أول شكل عرفناه لها هو النظارة العادية التي تقي العينين وهج الشمس والغبار ، وما لبثت تلك النظارة أن تطورت إلى أشكال عدة تبعا لما تقتضيه الحاجة ونوع العمل . وأهم تلك النظارات وأكثرها استعمالا الأصناف التالية :

أ — نظارة السلامة العادية : وتصنع من البلاستيك والمعدن والزجاج وهي نوعان : الأول وهو بلا جوانب ويستعمل للوقاية من الأجسام المتطايرة من الأمام . والثاني له جوانب مخرمة ويستعمل للوقاية من الذرات المتطايرة من الأمام والجانبين . وهذان النوعان أكثر شيوعا من غيرهما بسبب منظرهما اللائق وتستعملان في أعمال الخراطة والشحذ والأعمال اليدوية .

ب — نظارة اللحام : هذه النظارة تغطي العينين باحكام ولها عدستان تمنعان الضرر الناجم عن الضوء الذي يبهر البصر ، وعدستان أخريان للوقاية من الصدمات . ويستعمل اللحامون هذا النوع من النظارات في أعمال القص واللحام . ويوجد صنف آخر يستعمل في أعمال اللحام بالقوس الكهربي ، وهو في الواقع عبارة عن خوذة ذات عدسة مستطيلة تغطي الوجه والرأس . وهذه الخوذة مصنوعة من الزجاج الليفي (الفايبر) المقاوم للحرارة .

ج — نظارة السلامة المقاومة للصدمات : لهذا النوع من النظارات عدسة واحدة إذ يلبس فوق النظارة الطبية ويستعمل للوقاية من الأجسام الصغيرة المتطايرة من الأمام والجانبين . ومن مميزات هذه النظارة أنها تعكس البريق واللمعان الناتجين عن أشعة الشمس ولا يصح استعمالها في أعمال القص واللحام .

د — نظارة السلامة الواقية من الحوامض : تستعمل هذه النظارة لوقاية العينين من الحوامض والمواد الكيميائية والغازات المهيجة . ان اطار هذه النظارة اللين المصنوع من البلاستيك يناسب الوجه ، وينبغي تثبيته جيداً للتأكد من عدم نفاذ شيء إلى العينين من تحته .

وثمة نوع آخر من معدات وقاية العينين يستعمله أولئك الذين يعملون بالحوامض والمواد الكيميائية ونشر المعادن والتنظيف بالرمل والشحذ . ويلبس هذا القناع فوق النظارة الواقية زيادة في التحفظ وهو مصنوع من البلاستيك الشفاف لتيسير الرؤية . وهنالك أنواع كثيرة من النظارات لكن ما ذكرناه هو الأكثر شيوعا .

أجهزة التنفس

يتعرض عمال المصانع أحيانا إلى غازات سامة أو أغبرة كيميائية أو هواء ملوث ضار قد يلحق الأذى بالرئتين ويسبب الموت في بعض الأحيان . ولدرء خطر التسمم بتلك الأغبرة والغازات فقد لجأ رجال الصناعة إلى استنباط أجهزة لوقاية الرئتين ، وتختلف تلك الأجهزة باختلاف نوع العمل والغازات التي يتعرض العامل لها .

أ — النوع الأول هو الكمامة : وهو جهاز يوضع فوق الأنف والفم ويوجد بداخله مصفاة من القماش مهمتها تصفية الهواء وتنقيته من ذرات الغبار والشوائب الأخرى لمنعها من دخول الرئتين عند استنشاق الهواء من الأجواء الصناعية .

ب — النوع الثاني هو المعروف بجهاز «سكوت» للتنفس : ان جهاز سكوت للتنفس عبارة عن جهاز ذي قناع للوجه يمد من يستعمله بالهواء من خلال اسطوانتين تثبتان فوق الظهر . وتقوم هاتان الاسطوانتان بتزويد الهواء اللازم لشخص واحد لمدة ربع ساعة تقريباً . ومن اعظم مزايا هذا الجهاز انه يعمل تلقائياً أي انه مستقل بذاته .

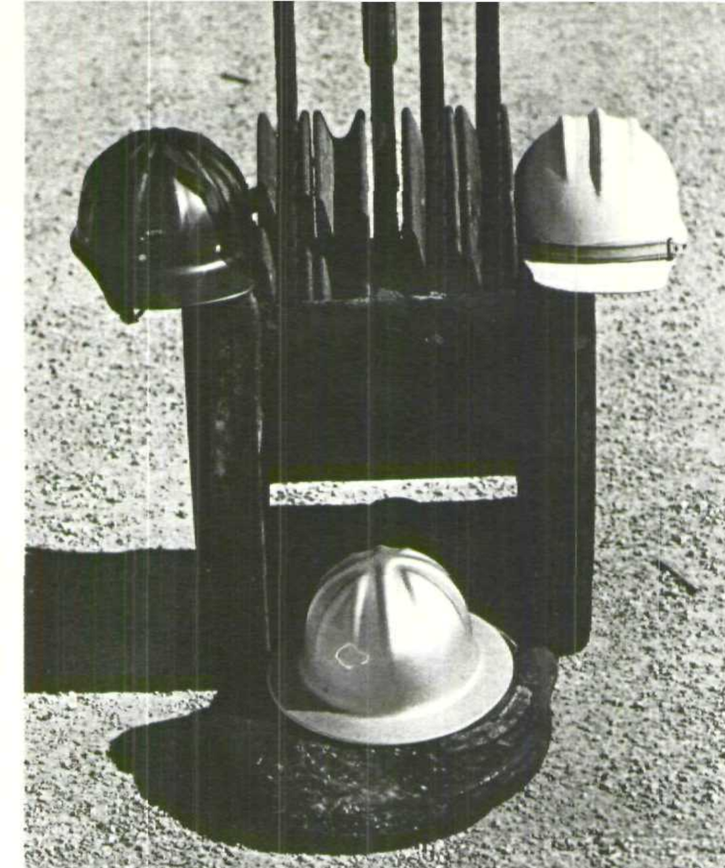
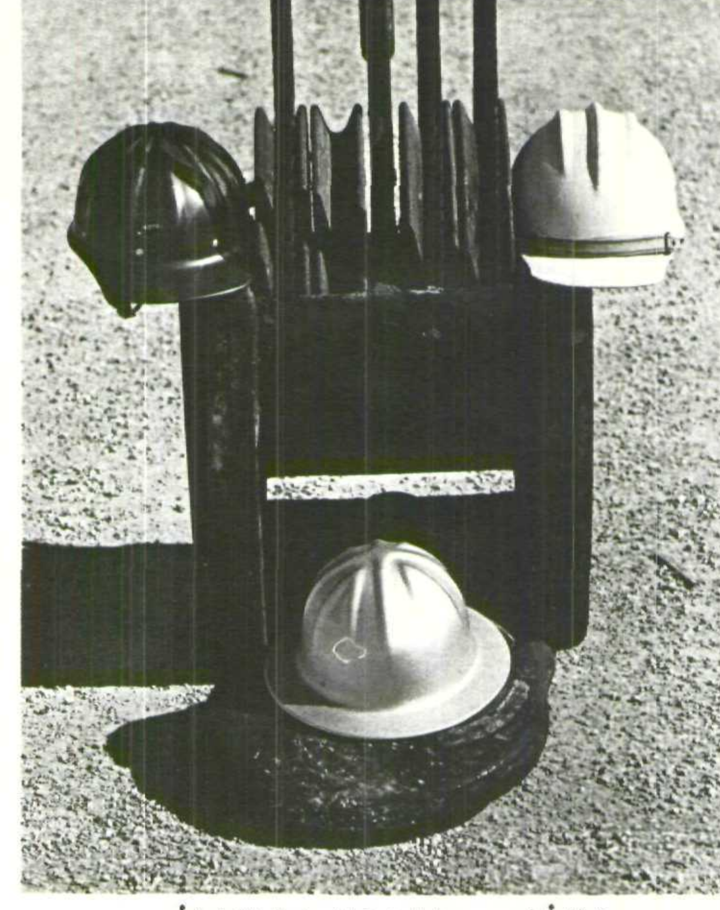
ج — النوع الثالث من أجهزة التنفس : ويستعمل للأغراض الصناعية . ففي هذا الجهاز مروحة تدفع الهواء ويقوم بتشغيله باليد عامل خاص . كما أنه مجهز بخرطوم

طوله مائة قدم وقناعين للوجه . ويمكن استعماله عند دخول الأماكن المغلقة التي تحتوي على غاز كبريتيد الهيدروجين والأماكن الكثيرة الدخان القليلة الأكسجين .

د — النوع الرابع من أجهزة التنفس هو الجهاز ذو العلبة : وهذا الجهاز يقوم بمجرد تنقية الهواء الموجود في المكان الذي يستعمل فيه بامتصاص المواد الملوثة للهواء كيميائيا . وهذا الجهاز لا يستعمل في جو يفتقر إلى الأكسجين أو في جو تصل نسبة تلوث الهواء فيه إلى درجة تفوق طاقة المادة الكيميائية على امتصاصها .

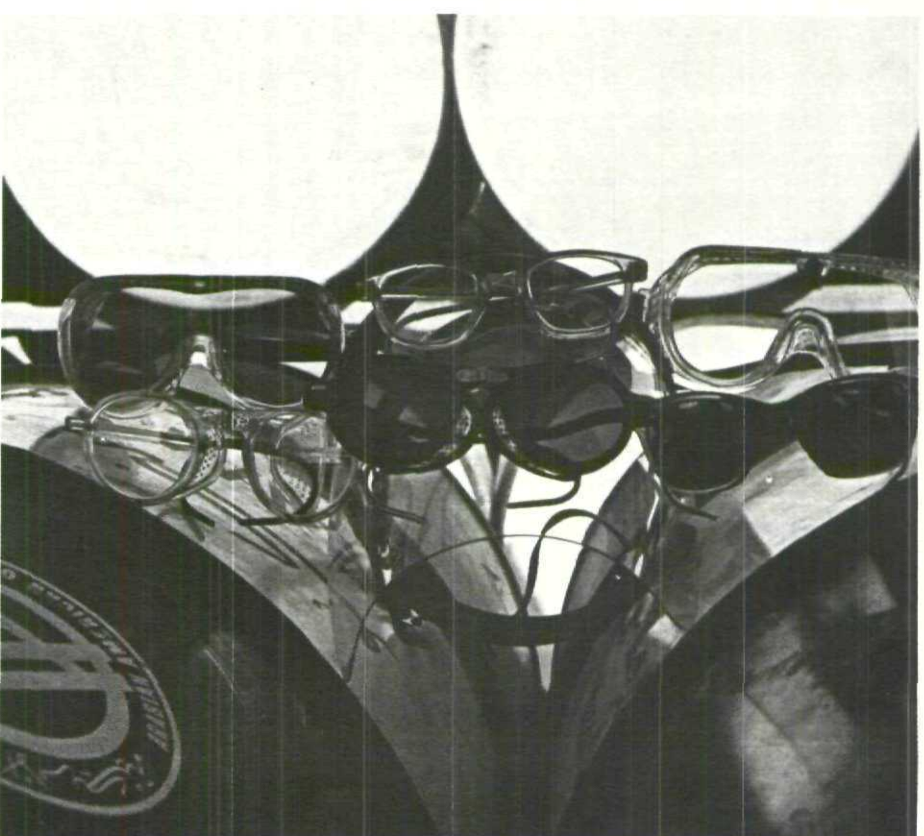
قفازات السلامة

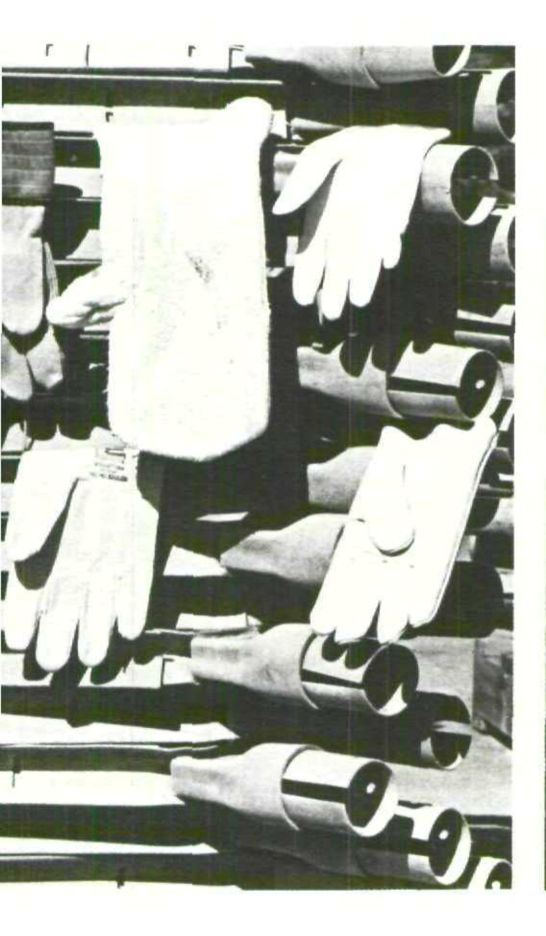
اليدان أبرز أجزاء الجسم وأكثرها تعرضا للإصابة بسبب الأعمال المتعددة التي تؤديانها . واستعمال القفازات كفيل بأن يجنبنا الاصابات والآلام الناجمة عنها . والقفازات متعددة الأصناف اذ يوجد أكثر من اثني عشر صنفا .

ثلاثة أنواع من خوذ السلامة المستخدمة لوقاية الرأس .

نماذج مختلفة من نظارات السلامة .





وكل واحد من تلك الأصناف يتميز بميزة خاصة تجعله يصلح لأداء نوع معين من العمل ، منهـــا :

أ – القفازات الجلدية : ويستعملها العمال والنجارون والبناؤون والفنيون وغيرهم ممن يزاولون مختلف الحرف اليدوية باستثناء الدقيقة منها ، ويصنع هذا الصنف من القفازات من الجلد اللين الذي يقاوم الأجسام الخشنة أو الحادة التي قد تجرح اليد ويجب أن يقتصر استعمال هذا النوع من القفازات على مناولة الأشياء غير السائلة .

ب – قفازات اللحام : وتصنع من الجلد المدبوغ بالكروم الذي يمنع الشرر المتطاير والشظايا المعدنية الساخنة من الالتصاق بالقفاز . وتعتبر قفازات اللحام من القفازات التي تستعمل لأغراض خاصة لوقاية اليدين والذراعين من أخطار معينة .

ج – القفازات المصنوعة من الخيش : وتستعمل لأغراض عامة كمناولة مختلف المواد الخشنة التي تعرض الأيدي إلى الإصابة بجروح طفيفة . ويعتبر هذا النوع من القفازات من الأنواع الصالحة للأعمال الخفيفة ، بيد أنه يوفر الوقاية الكافية إذا ما استخدم بطريقة صحيحة .

د – القفازات المشبعة بمادة الفنيل : وتشبه هذه ، القفازات المصنوعة من الخيش من حيث كونها صالحة للأغراض العامة . كما أنها أكثر قدرة على مقاومة الخدوش وتكسب الأصابع مهارة وخفة في تأدية العمل بسبب ليونتها وهي صالحة بنوع خاص للميكانيكيين ومشغلي آلات الخراطة .

هـ – قفازات المطاط الخاصة بعمال الخطوط الكهربائية : ويستعمل هذا النوع من القفازات عمال خطوط الكهرباء والصيانة ومشغلو أجهزة المفاتيح الكهربائية كما يستعمل عمال الكهرباء قفازات جلدية واقية من الحروق الناجمة عن اللمس باليـــد .

و – القفازات المغلفة بالنيوبرين : وهـــذه القفازات متوفرة بأطوال متنوعة تمتد من الرسغ إلى المرفق . وتستعمل لوقاية الجلد أثناء مناولة المواد الكاوية والحوامض والمواد السائلة والصلبة التي تؤذي الجلد ، كما أنها مبطنة بالقماش ومتوفرة بأحجام وأوزان مختلفة. والقفازات البيضاء المغلفة بالنيوبرين خاصة بعمال تنظيف رابع اثيل الرصاص . أما الحمراء والسوداء فتستعمل للأغراض الصناعية .

وهناك أنواع أخرى كقفازات الاسبستوس التي تستعمل لحمل المواد الساخنة ، والقفازات الطبية اللازمة لاجراء العمليات الجراحية والقفازات المنزلية التي تستعمل لوقاية الأيدي عند استعمال مسحوق الصابون ومواد التنظيف المنزلية التي تسبب الالتهابات الجلدية .

أحذية السلامة

إن ما قيل عن اليدين يقال عن الرجلين فهما أيضا معرضتان للجروح والرضوض من جراء سقوط الأجسام الصلبة فوقهما أثناء مناولة المواد وحملها في البيت والمعمل . ولهذا فقد توصل الخبراء إلى استنباط حذاء خاص سمي « حذاء السلامة » ، وقد ركب بداخله



لحماية الأيدي تستعمل أنواع مختلفة من قفازات السلامة .



لوقاية الأرجل تستخدم أحذية السلامة .

قطعة فولاذية لوقاية أصابع القدم . وبوسع هذه القطعة تحمل ضغط مقداره ٢٥٠٠ رطل أو ثقلا وزنه خمسون رطلا تقريبا ساقطا عن ارتفاع قـــدم .

يستعمل حذاء السلامة في الأعمال التي يتعرض فيها العامل إلى الأخطار الناجمة عن سقوط المواد الثقيلة فوق القدمين ، وهو ليس ثقيلا بحيث يضايق القدم فقد روعي في تصميمه الدقة والراحة وقلة التكاليف ليتسنى لكل عامل شراؤه واستعماله .

وثمة أنواع أخرى من أحذية السلامة تستعمل لأغراض خاصة . ففي أعمال الانشاء مثلا نجد أن الاصابات الناجمة عن الدوس فوق المسامير البارزة أكثر منها في الأعمال الأخرى . ولذا فقد عمد إلى تصميم نعال مقواة أو وضع قطعة معدنية رقيقة ولينة داخل الحذاء لوقاية القـــدم .

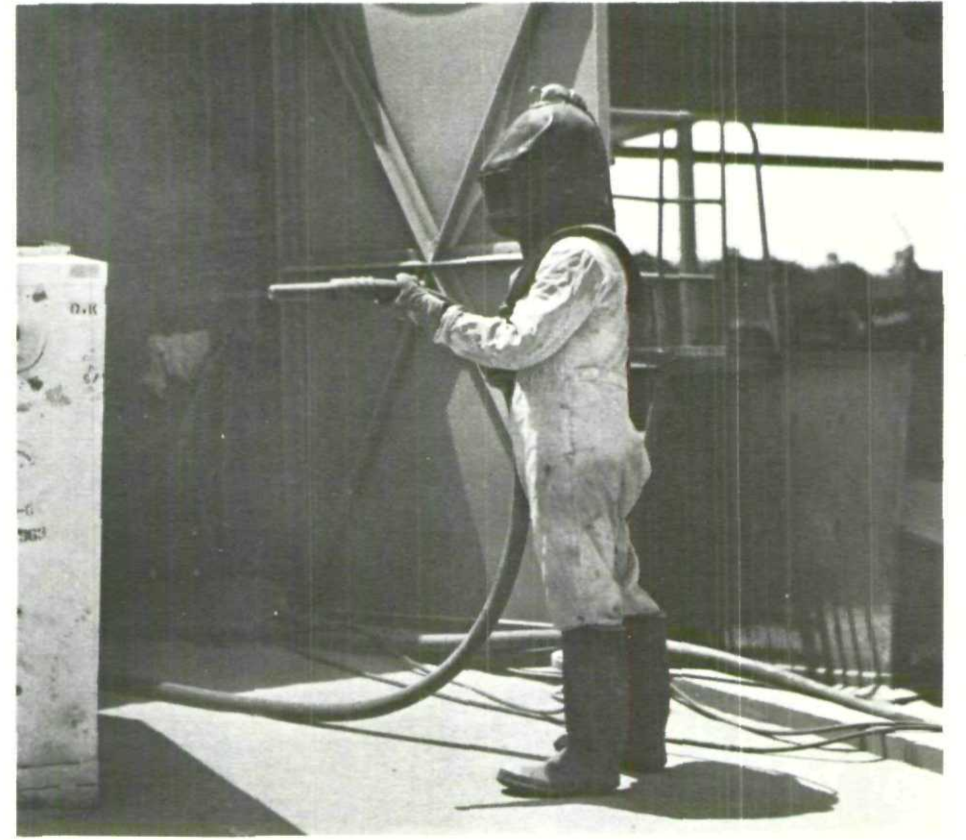
وقد يتعرض العامل لخطر الانزلاق والسقوط فوق الأرض المبتلة في معامل الألبان والمرطبات ولذا فقد صممت أحذية جلدية ذات نعال خشبية لوقاية العمال من حوادث السقوط الناجمة عن الانزلاق . وهناك نوعان آخران من أحذية السلامة يصنعان من المطاط ، النوع الأول يغطي القدم إلى الرسغ والثاني يغطي القدم والساق . وقد ركبت فوق مقدمة كل من هذين الحذائين قطعة من الفولاذ مغطاة بالمطاط وغير ظاهرة للعيان لوقاية الأصابع زيادة في الحيطة والحذر .

هناك معدات أخرى للسلامة ولكل نوع منها ميزة خاصة تكسبه القدرة على الوقاية من أخطار معينة كأحزمة السلامة المستعملة في السيارات وأحزمة عمال الكهرباء وغيرها . وثمة ألبسة خاصة بالوقاية يستعملها النجارون والدهانون والميكانيكيون وغيرهم ، ونوع آخر يستعمله رجال المطافىء عند مكافحة الحرائق والدخول وسط ألسنة النيران الملتهبة لإنقاذ الأرواح إلى غير ذلك من وسائل الوقاية المتعددة .



يتحدى النار بلباسه الواقي .

أثناء تنظيف المعادن بالرمل المضغوط يرتدي الموظف لباسا واقيا خاصا .



تصوير : سعيد الغامدي

إعداد
محمد سليم البيطار



للشاعر احمد قنديل

(بقية قصيدة رمال وامواج)

قال لي نويس … ساكن الرويس
الهواري تقحمت … لجة البحر والعباب
راكبات مع الدجى … في أما سيّها الصعاب
تلعب الريح حولها … لعبة الموت لا تهاب
يرقص الموج بينها … رقصة الحرب والحراب
نافذات تسربت … في ثنايا الشعاب
عابرات مجازها … كالصواريخ في السحاب
مارقات كأنها … في مجراته شهاب
سلّها العزم صارما … ما كسا حده جراب
تطلب الرزق لقمة … ما على بابها حجاب
سنّة الكون في الورى … سنّة حربها غلاب
تستوي الفجر عندها … صيحة الديك والغراب
لقمة العيش فتنة … سلمها حربها طلاب
والهواري ترنحت … ملء أحشائها الوطاب
قد سرت فوق متنها … فتية شغلها الضراب
من شباب تعلموا … بينها الوثب والوثاب
أو كهول كأنهم … فوق أمتانها شباب
صارعوا البحر ملتقى … طاب في ساحه الغلاب
دون أحواته الردى … صوب أسماكه النهاب
بين ساع لقوته … وسط قاع به وقاب
أو صريخ تجمعت … حول أسرابه الصحاب
يسلك القاع جنة … يتقي عندها المصاب
أو يرى الصخر تقية … سدت الباب والجناب
ما حماه ولا حمى … جمعه الشوق والمثاب
من رجال تطلحوا … دون وهن ولا ارتياب
تتنزى زنودهم … زان أعراقها الحباب
يزدهي في صدورهم … من أفاويقه الملاب
فالمجاذيف ضربها … خفقة القلب والرغاب
بين ساعاتها المنى … ترقب الخير والثواب
في الأماسي في الدجى … في هدى النجم في الضباب
يحسب الجهد عندهم … بالضنا العذب بالعذاب
ما لساعاتهم به … طول أيامهم حساب

* * *

والهواري تمهلت … غنوة حرة المثاب
يعتلي الحب قلبها … صبوة حلوة الإياب
قد مضى الركب قد عدا … قد بدا قد أتى وثاب
عانقتها السواحل … بعد أن هالها الغياب
والتقى عند بابها … حامل القشر واللباب
كلّ غاد ورزقه … فاز فيما لقى وخاب
يعمر الكون بالورى … بالمنى بينه اكتساب
بين ليل سرى بنا … دون ضيق ولا ونى
والهواري قبالنا
هكذا . هكذا … قال لي جارنا نويس
ساكن الشط في الرويس

الفلسفة الإسلامية عند ابن تيمية

بقلم الدكتور زكي المحاسني

وَرَدَ العرب مناهل الفلسفة الإغريقية في هبّة عصر المأمون ، وكانت حاجة علمائهم إلى الجدل والمناظرة داعية لورود تلك المناهل ، حتى كادوا بها يرتوون . فلقد نمّت مداركهم ، ووسعت أرجاء عقولهم ، وكان لها أثر بعيد في اتجاههم الفكري ، بما ترجم إلى العربية من فلسفة أرسطو وأفلاطون وغيرهما من فلاسفة اليونان .

وقد جعلت هذه الفلسفة اليونانية توجه الفكر العربي في العصور العباسية وجهة الحكم في المعقولات والموجودات والمحسوسات ، وظهرت سنة بعد سنة ، منذ عهد المأمون وقيام الحركة الاعتزالية ، سيطرة الفلسفة اليونانية على العقلية العربية ، في الوعي الفلسفي ، حتى جاء أحمد ابن عبد الحليم تقي الدين (ابن تيمية) الدمشقي ، امام المسلمين في عهده ، فأوقف تيار الفلسفة اليونانية ، الذي كان حتى أيامه جارفا للعقلية العربية ، التي كانت تبتغي الحكمة ومدارستها .

وكأن الارادة الإلهية لتقويم الفلسفة العربية ، وانقاذها من تسلط عقلية أرسطو عليها ، قد أرسلت لها هذا الإمام الحنبلي ، الذي اشتغل بالعلوم الدينية ، ونبغ بها ، حتى سمي شيخ الإسلام ، لطول عنايته بتفسير آي الذكر الحكيم ، ولتبحره بعلم الأصول . وقد مهد بأسلوبه الطليّ لآرائه في المقدمات المقبولة المنطقية التي يهون بعدها الاستنتاج الصحيح ، وقد بلغت مؤلفاته ما يزيد على أربعة آلاف كرّاسة ، كما يقول صاحب « الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة » . وكان أكثر مؤلفاته ، يسير في منهجية علمية ، ودراسة غائية ، تتناول المعقولات والمنقولات ، وتفسح مجالا كبيرا للوعي الشخصي ، والحكم الذاتي ، الذي يلائم التطور الزمني ، ويعطي الاجتهاد بحبوحة من الحياة النفسية والتنفس الحر .

وكانت نزعة هذا العالم العظيم بالبحث نزعة عقلية وواقعية ، كما يعبر فلاسفة الغرب في عصر «ديكارت» و « أوغست كونت » ، ولذلك لم يمض مع الصوفيين في شطحاتهم ، فكان يردّ على ابن عربي ومريديه ، وعلى المبتدعة وأهل الخلاف . ولست أنكر أن للفلاسفة المسلمين قبل ابن تيمية أعمالا روائع في الفلسفة الإسلامية النفسية ، والمنطقية وما وراء الطبيعة ، فابن رشد والكندي والغزالي والفارابي وابن سينا ، صنعوا الأعاجيب في ذلك ، غير أن واحدا منهم لم يبتكر أمرا عجابا في الفلسفة الإسلامية كما ابتكر ابن تيمية .

ذلك تمهيد للكلام على فلسفة ابن تيمية ، فما هي اذن فلسفته ؟

تقوم فلسفة ابن تيمية على تحرير الفكر الاسلامي من قيود الفكر اليوناني . وقبل هذا الامام ، لم يكن للمسلمين في تاريخ الفلسفة « منطق » خاص بهم ، وانما كان منطقهم قائما على المقولات اليونانية في المقدمات والنتائج ، وفي التجريد والتعميم ، وفي الأقيسة ، وفي التحليل والتركيب والفرضيات والحواسم . فكسر ابن تيمية هذه القيود التي عاشت بالعقلية العربية منذ أرسطو حتى عهده ، وطلع على العالم الاسلامي بكتابه الجليل (الردّ على المنطقيين) ، وهو كتاب عاش مخطوطا حتى عصرنا الحاضر اذ قام احد علماء الاسلام في الهند وهو الاستاذ سليمان الندوي ومعه صحبه ، فحققوا نسخة هذا الكتاب في مخطوطاتها الفريدة وأخرجوه للعالم العربي الاسلامي مطبوعا طبعا أنيقا في مجلدة اضافية .

ولعلي أمهلت قرّائي الأعزة ، لأحدث لديهم شوقا الى هذا الكتاب النادر النفيس الذي أعدّه قد أحدث انطلاقا للفكر الاسلامي من قيود الأفكار الاغريقية ، في المنطق الذي كان سائدا .

لقد وجد ابن تيمية مصدرا رائع العظمة للمنطق الاسلامي ، وهو القرآن الكريم والسنّة المحمدية ، فاستخرج منهما المنطق الجديد الذي سماه (المنطق الاسلامي) ، واختص كتابه هذا بفصول هذا المنطق الذي كان فيه غنى للمسلمين عن العقلية اليونانية في الحكم على الأشياء ، وفي الاستبصار والتأمل الفلسفي . وكان يعرف ان هذا الحدث الرائع سيكون له صدى عند الخصماء والمجادلين ، فأعد للأمر عدته ، بالرد على المنطقيين الذين استحكمت في عقولهم علاقات الفكر اليوناني وطوابعه ، وعزلتها عن الاقتباس من فلسفة القرآن والحديث النبوي ومنطقهما .

فكما وجد نوابغ علماء الدين وأدباء القرآن الكريم في عصرنا ، غير شروح الكلمات اللغوية والتفسير التاريخي ، والتشريعي ، لهذا الكتاب العزيز ، فكشفوا عن مزاياه الخالدة في التصوير الفني والتفوق البياني والقصص الزمني ، كذلك فان ابن تيمية سبق هؤلاء جميعا الى زاوية لم تخطر للمتقدمين على بال ، وهي : زاوية المنطق الاسلامي ، حتى استخرجه من القرآن الكريم بحثا يغني المسلمين في قضايا الفكر الصحيح ، والحكم المصمم عن المنطق اليوناني ، وعن أقيسته ، وأساليبه ، ومسمياته وتطبيقاته .

فمن أمثلة هذا المنطق قول ابن تيمية في هذا السفر النفيس (الردّ على المنطقيين) في واجب الوجود عند الفلاسفة : (وكذلك الواحد الذي يصفون به واجب الوجود وانه مجرد عن جميع الصفات الثبوتية ومدار كلامهم في التوحيد والصفات كلّه على لفظ « التركيب » وقد بيّنّا أن ما يدّعونه من التركيب ومن الوجود والماهيّة ، ومن الجنس والفصل ، باطل ، وقد بينّا ان المركّب يحمل على ما ركّبه غيره وعلى ما كانت أجزاؤه متفرقة فاجتمعت وعلى ما يقبل مفارقة بعضه بعضا ، وهذه الأنواع منتفية عن رب العالمين جل وعلا باتفاق المسلمين) . ومما يقول في التجريد : (ويظنون أن الماهية التي جرّدوها عن جميع القيود السلبية والثبوتية محقّقة في الخارج على هذا التجريد ، وذلك فقط كغلط أوليّهم فيما جردوه من العدد والمثل الأفلاطونية وغيرها ، بل هذه المجردات المسلوب عنها كل قيد ثبوتي أو سلبي لا تكون الا مقدورة في الذهن) . وحين ينحو ابن تيمية في هذه الفلسفة منحى ما وراء الطبيعة يذكر في باب (طريقة القرآن في بيان امكان المعاد) ما فيه من الآيات والأخبار عمن أماتهم ثم أحياهم بالآيات الكريمة (ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) (فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى) (فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم) . ثم يبيّن ابن تيمية اقتدار الخالق على الخلق دائما بالآية : (أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم) ثم يقول : وقد بسطنا الكلام على هذا وأمثاله وبيّنّا ما عنده أئمة النّظّار من أهل الكلام والفلسفة من الدلائل العقلية على المطالب الإلهية، فقد جاء القرآن بما فيها من الحق ، وما هو أكمل وأبلغ منها ، على أحسن وجه مع تنزّهه عن الأغاليط الموجودة عند هؤلاء ، ولعلّ اختلافهم أكثر من هداهم ، وجهلهم أكثر من علمهم ، وأرسطو هو المعلم الأول لأصحاب هذه التعاليم الذين يسمونهم (المشائين) ، وهم أصحاب هذا المنطق اليوناني الذي وضعه أرسطو، وما يتبعه من الطبيعي والآلهي ، ثم أورد حديثا عن التفرّق والاختلاط في الرأي ، رواه الترمذي عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ما ضلّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل) ثم قرأ قوله تعالى (ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون) .

وقد رحت أعجب للدكتور (ريتشرد فالترز) أستاذ الفلسفة الإسلامية في جامعة اكسفورد ، حين ألف كتابه القيم المختصر عن الفلسفة الإسلامية ومركزها في التفكير الإسلامي ، وقد بين فيه طوابع العقلية اليونانية في الفلسفة الإسلامية وكيف كان فلاسفة الإسلام يستعملون المنطق اليوناني في جدلهم ومقولاتهم ، وفي الردّ على خصمائهم في الفكر ، كيف لم يخطر له على بال ما صنع فيلسوفنا الإسلامي في القرن الثامن للهجرة الموافق للقرن الرابع عشر للميلاد حين ألف كتابه (الردّ على المنطقيين) . ومن الغريب حقا أن هذا الكتاب المكتشف حديثا لم تذكره كتب المخطوطات العربية الإسلامية لندرتـــه .

وهنا كم أجد جميلا الهدية النفيسة التي أهداها إليّ العلامة الشيخ بهجة البيطار الدمشقي ، فإن علماء الهند الذين نشروا هذا الكتاب أهدوا إليه نسختين منه ، فاختصّني بواحدة منهما يوم لم يكن من ثالث لهما في بلادنا ، فوجدتني أجيء محلّلا ودارسا لهذا الكتاب ، في الفلسفة الإسلامية ، تقديرا لأعمال ابن تيميّة العالم الإسلامي الكبـــير .

طرائف

خير المختبرات للفم

أرسل أحد مسؤولي الفرع الزراعي بأمريكا الى عالم كبير عينتين لتفاحتين كبيرتين فأكل الخادم في الطريق احداهما وواصل الأكل في الثانية . وعندما سأله العالم : أين التفاحة الأخرى ؟

قال الخادم : أكلتها .

فغضب العالم وصرخ : ولكن كيف أكلتها ؟

فما كان من الخادم الا أن وضع التفاحة المتبقية في فمه ، وقال: هكذا أكلتها ، يا سيدي !

أشعب والقدر

جلس أشعب وامرأته يأكلان من قدر ، قال أشعب: ما أطيب الطعام لولا كثرة الزحام ، فقالت امرأته: أين الزحام وليس على المائدة سوى أنا وأنت ؟! فقال : وددت والله لو كنت أنا والقدر فقط .

الشوق سم قاتل

سمع جحا في صبيحة أحد الأيام حركة عربة وكان نائما في الفراش. فنهض وأطل عليها من النافذة فوجدها ذاهبة في طريق قريته . فلحق بها وتعلق بها وهو بملابسه الداخلية . وركب وهي سائرة حتى وصل الى القرية . ولما رآه أهل القرية تعجبوا من ملابسه فقالوا له: ما هذا يا جحا ؟ فقال : شوقي اليكم جعلني أنسى ثيابي في البيت .

ضربة في الصميم

وقفت احدى السيدات ذات صباح قائظ على شرفة فندق حيث علق ميزان حرارة ، وكان بجانبها كاتب ساخر فقالت له ، وهي تروح بمروحة كبيرة من شدة الحر : « تصور يا حضرة الكاتب اثنتان وتسعون ..» فرد عليها الكاتب : أهنئك يا سيدتي ، وأتمنى لك مزيدا من العمر .



حين كنت في أسمرا

بقلم الأستاذ لقمان يونس

لزميلي في الإدارة العم صدقة مراد مجموعة طيبة من الصفات والمزايا الحميدة . فهو من عائلة عريقة لم يستطع ادبار الأيام أن ينال شيئا من أنفتها وشموخها ، وسيم الوجه حلو الحديث يحفظ كثيرا من ألحاننا « الفولكلورية » الجميلة التي لا يكف طوال الدوام الرسمي عن ترديدها دندنة أو تصفيرا . ودرج مكتبه الذي يبالغ «فراش» الإدارة في تنظيفه وترتيبه عامر في كل وقت بما لذ وطاب من أنواع النقل . ولا يشرب الشاي – وهذا أجمل ما فيه – أكثر من فنجانين تاركا مهمة احتساء ما يتبقى في (الكفتيرة) الضخمة إلى ذي الكيف (المتنك) لقبي المفضل لديه . ولما كانت القاعدة الذهبية تقول : حيثما تكون وردة فهناك شوك ، فإن لزميلي العزيز أيضا خصاله الأخرى التي لم أستسغها ، منها عادته المتأصلة في التأخير عن الحضور والتبكير في الانصراف ، وكرمه الحاتمي في احالة معظم المعاملات إلي (لأكمال اللازم) بحجة تعويدي على العمل الشاق وتأهيلي بالتالي لمنصب أهم وأخطر ، واجتراره الممل لذكريات رحلته التاريخية إلى مدينة أسمرا في « أريتريا » تلك التي يجد دائما مناسبة ولو واهية أو بعيدة لاقحامها في الحديث الدائر حتى ولو كان حول ارتفاع ايجار البيوت أو تهور السائقين أو انتشار لوثة (التخنفس) بين الكثير من أبناء الجيل الصاعد .

وقد يحلو لي أحيانا – لا سيما في الأوقات التي خلا فيها المكتب من أناس غرباء – أن أعابثه بقسوة ورعونة . فما أن أبصرته يتهيأ للكلام وقبل أن يكمل لازمته المعهودة : طيب أثناء وجودي في ... حتى بادرت إلى مقاطعته بترديد الأغنية القديمة (كل شيء في – أسمرا – يوجد إلا قهوة سي خليل يا عيني) ، فيفتر حماسه في الحال ويرشقني بنظرة متوعدة ، ولا يندر أن يقذفني بدفتر التوديع الغلبان أو ينفحني بتحية تقع تحت طائلة قانون العقوبات . ولكن الشيء الذي أثار استيائي واشمئزازي هو ما اكتشفت في هذا الانسان الفاضل من ولوع غريب باغتياب من يعرف ولا يعرف من عباد الله . فهانيء ابن مديرنا الهمام فتى (صايع) لا يرجى منه خير . ونديم وحيد أمين صندوق الإدارة الذي لم يرفض يوما طلب سلفة تقدمنا به كل ما واجهتنا ضائقة مالية قبل مواعيد صرف المرتبات ، ضحية التدليل وقلة الحزم . أما عيال أبي سعيد التاجر المعروف فكلهم دون استثناء « مفلوتو » العيار وقحون ، وحذار من الانخداع بمظهر صلاح مرزوق الوديع المهذب ، فتحت السواهي دواهي .

وتملكتني الحيرة والأسف أمام هذه الأحكام القاسية التي أعلم جيدا – بحكم معرفتي

بأولئك الفتيان المتقول عليهم — انها عارية من الصحة قائمة على غير أساس . ربّاه ! ما الذي أغرى زميلي الرزين بتشويه سمعة هؤلاء الفتيان المظلومين ؟ أهذه عنده النقيصة التي لا يخلو منها أي رجل فان والتي من أجلها يقال : « الزين لا يكمل » ؟

لقد هممت في عدة مناسبات بأن أناشده متلطفا أو أصرخ في وجهه محتدا كيما يقلع عن هذه العادة المستهجنة قبل أن أفقد ما له في قلبي من احترام ومودة . غير أني أحجمت في كل مرة ربما بسبب تدربي الشاق منذ الطفولة على ترك مالا يعنيني من الأمور ، تلك الخصلة المستحبة التي امتدحها سيد المرسلين واعتبرها (من حسن اسلام المرء) .

وذات يوم أفضيت بدهشتي واستنكاري إلى أحد أصدقاء العم صدقة المقربين ، ففاجأني الرجل بالسر المذهل التالي :

ماذا ؟ ألم تسمع من قبل بأن عمك صدقة مبتلى بأبناء لم يطرح الله البركة فيهم ؟ ألم تعلم أن مشاكلهم التي لا تنتهي ومعاركهم التي لا تنطفىء لها نار سواء فيما بين بعضهم البعض أو بينهم وبين الآخرين ، وخيبتهم المزمنة في الدراسة هي التي غيرت طباعه وجعلته — لا شعوريا — يحنق على أبناء غيره لا سيما أولئك الذين ظهرت بوادر فلاحهم ونجابتهم ؟ ليتك تعرف أبا صديق (بكسر الصاد وامالة حركة الدال) في شبابه فقد كان زين الفتيان وبهجة المجالس . قلب من الذهب ، ومروءة نادرة المثال ، وأخلاق كنسيم الروض المعطر . الله يهديكم يا أولاد صدقة ! وحدث تبدل كبير في موقف زميلي صدقة مني ، فبدأ يفتح لي قلبه المثقل ويطلعني على خصوصياته ويبثني همومه وزفراته . ومن ناحيتي أنا الآخر أخذت أقلل من ملاحقته بدعاباتي اللاذعة وأتجامل في الاصغاء إلى أحاديثه وذكرياته ، وأظهر الاهتمام بمشاكله الداخلية .

وتجرأت يوما فقررت على أن أستغل هذه الثقة الغالية التي خصني بها فقلت أخاطبه — وعيني تراقب بحذر الدفاتر الموضوعة على مكتبه حتى إذا ما قدر لها أن تنطلق كالقذائف كنت عندئذ قد عرفت كيف أتجنبها — أليس من الجائز يا أبا عبد الرحمن (اسم أكبر أبنائه) أن تكون قد اتبعت في تنشئة الأنجال أسلوبا صارما هو الذي أوصلهم إلى ما هم عليه ؟ أنت تريد أن تخضعهم للأصول والقواعد التربوية المعهودة في أيامك ، وفاتك أن زمانك — بل حتى زماني أنا الذي أصغرك بحوالي خمسة عشر عاما — مختلف جدا عن زمانهم هذا الذي أدخلت فيه الحضارة الحديثة تغييرات في غاية التنوع والتعقيد والعمق . لقد قيل في المثل الغربي (بامكانك أن تقود جوادا إلى الماء غير أنك لن تستطيع أن ترغمه على الشرب) . فهل خطر لك يوما وأنت تجرجر جيادك الأصيلة — معذرة أقصد أبناءك النجباء — إلى الماء الذي اخترته لهم . إن هواهم قد يتركز حينئذ على شيء آخر كالانطلاق في المرج الرحب ، أو الانهماك في قضم العلف الشهي ، أو مجرد ... فقاطعني قائلا : تقصد أني أتركهم يفعلون ما يروقهم دون رقابة أو تدخل ؟ إذن قل أنهم سينجحون كما نجح كل من أطلق له الحبل على الغارب .

وشجعتني هذه الاجابة التي لم تشترك فيها الدفاتر المخيفة ، على الاصرار في متابعة المحاورة الشائكة فقلت مصطنعا لهجة أهل الذكر : ان أساطين التربية — كما تعلم — يحثون على مراقبة الأطفال لمعرفة هواياتهم المهيمنة ، إذ متى ما عرفت لطفل هواية معينة بات من السهل اكتشاف ميوله . وعن طريق اختيار الدراسة التي تتفق مع هذه الميول يمكن ضمان مستقبل ناجح له . فهل لديك فكرة عن هواية الأخ عبد الرحمن ؟ هنا أطلق ضحكة قصيرة فيها كل معاني الغيظ والسخرية والقنوط قبل أن يصيح .

أتسألني عن هواية ابني ؟ دعني أخبرك أن في احدى غرف دارنا مجموعة كبيرة من الأدوات المنزلية والساعات اليدوية والحائطية والمنبهة وأجهزة راديو من كل صنف راحت كلها ضحايا (فطيسة) لهواية صاحبك العجيبة . على هذا الأساس هوايته أجارك الله التخريب والتكسير والتفكيك بحجّة التصليح ، فهل لديك رغبة في اكتشافها بنفسك شريطة أن تقدم له أنت ضحايا من عندك ؟ أما أنا فقد أقسمت بأني سأكسر يده العابثة إذا امتدت منذ اليوم إلى لوازم الدار .. وتمهل قليلا ليستطرد .. وبإمكانك أن تضيف إلى ما تقدم هواية أخرى هي .. عشق السيارات ومن يعملون في السيارات من السائقين وأصحاب الورش .

وجاء دوري لأضحك أنا الآخر وأقول هاتفا : لقد حلت المشكلة إذن . ابنك مغرم بالأعمال الميكانيكية .. لم لا تتركه يمارس هذه الهواية ؟ فقد يصبح يوما ميكانيكيا ناجحا . وفي حركة تنم عن الضجر وضيق الصدر نهض قائما وقبل أن يصفق الباب التفت إلي وقال بتهكم : عندما يكبر ابنك دعه يصبح ميكانيكيا أو حتى « عربجيا » . أما أبنائي فاتركني أنا وشأني في اختيار ما أراه صالحا لهم حسب اجتهادي ...

ونقلت إلى وظيفة أخرى في مدينة نائية . وذات يوم ولأول مرة بعد انقضاء سبعة أعوام ، ذهبت إلى مقر عملي القديم بشأن بعض المراجعات المهمة ، فألفيت العم صدقة كما تركته من قبل كأني لم أتغيب عن الادارة إلا بضعة أيام . مكتبه مصقول نظيف كالعادة ، وأحاديثه عن رحلته التاريخية ما انفكت تتدفق بمناسبة أو دون مناسبة . وخيّل إلي أن زملاءه الجدد هم أيضا قد تعودوها وسئموا تكرارها . ولولا وجود الزائر الغريب ، الذي هو أنا ، لانطلق أحدهم يقول مداعبا ، حسبنا من حكايات أسمرا هذه ، لقد صدعت بها رؤوسنا . هات لنا نوادر طازجه عن الهند والسند والبلاد التي تركب الفيلة .

واصر العم صدقة على أن أتناول الغداء عنده . وعند حلول موعد الانصراف دخل علينا شاب فيه ملامحه واناقته . فعرفت فيه — حتى قبل أن يتم بيننا التعارف — أن القادم هو هاوي التخريب والتفكيك ، عبد الرحمن صدقة مراد .

وركبنا سيارة فارهة حيث جلس عبد الرحمن على مقعد قيادتها بينما جلسنا نحن الاثنين في المقعد الخلفي . ولعل مضيفي الكريم لمح حيرتي وتساؤل نظراتي فقال بصوت مسموع وأنا أراقب وجه سائقنا الباسم في المرآة : لقد تركت الحرية الكاملة للجواد الحرن كما نصحت أنت ونصح أساطين تربيتك . وها هو الآن قد أصبح كما توقعت ميكانيكيا ناجحا ورب أسرة ناجحا أيضا بدليل أنك ستقابل بعد قليل حفيدي الشقيين الصغيرين . الشيء الذي لا أفهمه هو كيف انقلب « الباشمهندس » الذي كان يتهرب من الدراسة في صغره رغم الوعد والوعيد ، إلى تلميذ مجتهد في المدارس الليلية لتعويض ما فاته ؟

قلت وأنا أقهقه ضاحكا طيب ... أنا أيضا شاهدت في أسمرا .. ولكزني العم صدقة في جنبي وهو يقول .. طول عمرك سليط اللسان .

الموسيقية في تراثنا الأدبي

بقلم الدكتور ابراهيم انيس

يصف كثير من الدارسين تراثنا الأدبي بأنه موسيقي ، وأنه انحدر الينا وقد اكتسب هذه الصفة منذ أقدم العهود أو أقدم النصوص ، ولكني لا أعرف أحدا من هؤلاء الدارسين قد ربط بين صفة الموسيقية في تراثنا وبين ما شاع لدى العرب القدماء من الأمية أو ندرة القراءة والكتابة .

وفي رأيي أن صفة الموسيقية في تراثنا الأدبي يمكن أن تعزى في أغلب عناصرها إلى تلك الأمية ، حين كان الأدب أدب الأذن لا أدب العين ، وحين اعتمد القوم على مسامعهم في الحكم على النص اللغوي ، فاكتسبت تلك الآذان المران والتمييز بين الفروق الصوتية الدقيقة ، وأصبحت مرهفة تستريح إلى الكلام الحسن في وقعه أو ايقاعه ، وتأبى ما ينبو في الآذان والأسماع .

وكما تمرن الآذان في بيئة الأمية تمرن الألسنة أيضا ، فتنطلق من عقالها وقد اكتسبت صفة الذلاقة واللسن ، فلا تتعثر أو تزل في أثناء النطق . وتتعاون الأذن مع اللسان في مثل هذه البيئة على ايثار العناصر الموسيقية من اللغة ، ونفي العناصر النابية والتخلص منها ، ويؤدي هذا مع مرور الأيام الى انسجام الأصوات في الكلام ، ويكاد يصبح بذلك نوعا من الغنـــاء .

ويرى الدارس للأدب العربي أن لعصر ما قبل الإسلام آثارا أدبية أكثرها من النظم وأقلها من النثر ، بل يرى أن ما روي من النثر قريب الشبه بما روي من النظم ، ففيه تلتزم القافية بين عدد من العبارات ، ولكن هذا النثر لا يكاد يخضع لنظام توالي المقاطع الذي نألفه في المنظوم .

ومهما تكن الأسباب الأصيلة التي ساعدت نشأة الشاعرية العربية فالذي لا شك فيه أن أدب ما قبل الإسلام قد نما وازدهر في مجتمع لا يصطنع الكتابة والقراءة ، وظل هذا المجتمع العربي قبل الإسلام بضعة قرون يرعى تلك النهضة الأدبية، ويعمل على ازدهارها ، ولم يكن للأدب خلال هذه القرون إلا الصورة الصوتية ، تتردد على الأسماع فتكسبها المران والقدرة على التمييز بين درجات الكلام المشتمل على الإيقاع والنغم .

ويلحظ دارس الأدب في وضوح أن أسمى درجات الموسيقية كانت في أوزان الشعر العربي وقوافيه ، أما النثر فقد مثلته الخطب والوصايا التي التزم فيها العرب القدماء إلى حد كبير تردد أصوات بعينها في نهاية العبارات والجمل .

ولا غرو ، فكل من الشعر والخطابة حينئذ كان كلاما قصد به أولا وقبل كل شيء التأثير في العاطفة ، وسر هذا التأثير قد يكون عن طريق الجمال في المعنى ، أو عن طريق الايقاع والنغم في اللفظ . غير أن القارىء الكاتب يعجب عادة بمعاني الكلام أكثر من اعجابه بوقعه في الأسماع ، في حين أن الأمي المرهف الأذن يستجيب أولا لرنين اللفظ ونغمه ، وقد ينفعل له ويتأثر به تأثرا قويا ، وان خلا من جمال في مضمونه ومعناه .

لذلك نرجح أن أهل الفصاحة واللسن من العرب القدماء قد عنوا أولا بموسيقية الكلام ، وشغلتهم نغماته وأصداؤه عن التعمق في معانيه ، وذلك بسبب الأمية التي سادت مجتمعهم . ولا نغالي حين نقرر أن أثر الأمية في موسيقية التراث العربي كان أعمق الأثـــر .

ولسنا نعرف أمة أخرى من الأمم قد ظهر لها مثل ذلك الأدب المروي عن عصر ما قبل الإسلام في كثرته وأحكامه ، واعتزاز أهله به ، وتوفرهم على روايته ، ثم كانت مع ذلك أمة أمية ، أو شاعت فيهـا الأمية على النحو الذي روي لنا عن العرب القدماء .

عني العرب القدماء إذن بموسيقية الكلام ، لأنهم لم يكونوا أهل كتابة وقراءة ، بل أهل سماع وانشاد . وظلت صفة الموسيقية بارزة في التراث الأدبي والشعر بصفة خاصة ، في معظم العصور . حتى بعد أن ظهر الموشحات . نلحظ أن هذه الموسيقية قد تنوعت ألوانهـا وتباينت نغماتها حين انتقل أبناء العرب إلى البيئات الطبيعية المتعددة الألوان ، من حفيف للأشجار ، وغناء للأطيار ، ووقع للأمطار ، وأصداء مختلفة لأصوات الطبيعة حيث تمتزج فتأتلف ، وتوحي بنوع من الموسيقية التي لا تسير على وتيرة واحدة كما كان الشأن في شبه الجزيرة .

ولأمر ما سمي الأعشى بصنّاجة العرب ، فهو مع اشتراكه في الأمية كجمهور الناس في بيئته قد عوض عن ضعف البصر بسمع مرهف ، وأذن أكثر حساسية جعلته يتجه بكل قلبه ونفسه نحو هذه الموسيقية اللفظية ، ويوغل فيها حتى تميز شعره بصلاحيته للغناء أكثر من شعـر غيره .

ولأمر ما كان أبو العلاء المعري أول شاعر لفت أسماعنا ، واسترعى انتباهنا إلى ما سماه باللزوميات ، ذلك لأنه قضى كل حياته يسمع ولا يكتب ، فأرهفت أذنه بعد ذلك المران الطويل .

بل لا أغالي حين أقول ان أوضح ما يتميز به الأدباء المكفوفون في أدبهم هو عنايتهم بجرس الألفاظ ووقعها الموسيقي ، وكثيرا ما تشغلهم موسيقى الكلام عن مضمونه فيغمرون المعنى البسيط بفيض من الألفاظ والعبارات المتكررة ذات المعنى الواحد أو المتشابهة الدلالة .

ولسنا نريد هنا أن نثير قضية اللفظ والمعنى ، تلك القضية التي يقول أبو هلال العسكري في شأنها (ليس الشأن في ايراد المعاني ، لأن المعاني يعرفها العربي والأعجمي والقروي والبدوي ، وانما هو في اجادة اللفظ وصفائه وحسنه وبهائه ...) ، بل يكفي أن نتذكر أن كثرة من ناقدي الأدب القدماء قد فطنوا الى عناية العرب بألفاظهم وموسيقاها ، وان لم ينسب هؤلاء النقاد هذه الموسيقية إلى سبب واضح أو علة ظاهرة .

وليست موسيقية الشعر العربي تقتصر على نظام توالي المقاطع في البيت ، أو نظام القوافي في القصيدة ، بل قد تتضمن أيضا ما يسميه أهل البلاغة بالجناس الكامل منه والناقص ، فشواهده في الأدب العربي قديمه وحديثه غزيرة جدا ، تدل على حب العرب لهذا اللون من النغم ، مثل قول أوس بن حجر :

غرّ غرائر أبكار نشأن معـا ... خشن الخلائق عما يتقى زور

وقول الحطيئة :

وان كانت النعماء فيهم جزوا بها ... وان أنعموا لا كدّروها ولا كدّوا

وقول كعب بن زهير :

ولقد علمت وأنت خير عليمة ... أن لا يقربني الهوى لهـوان

وقول الخنساء :

إن البـكاء هـو الشفـاء ... مـن الجوى بـين الجوانح

هذا هـو ما كان من شأن الشعر العربي القديم ، أما النثر فقد بـدأ موسيقيا أيضا ، وظلت تلك الموسيقية تلازمه فـي معظم عصور اللغـة ، ولم يخرج عنها إلا قلة من الأدباء بعد الإسلام من أمثال ابن المقفع وغيره في عصر المأمون ، ممن تأثروا بما ترجم عن الفرس واليونان . ولكن الكتابة قد عادت بعد هؤلاء إلى الموسيقية ممثلة في الإسجاع والازدواج ، وظلت سوقها رائجة حتى عهد قريب من عصرنا الحديث .

وقد انحدرت الينا نماذج من نثر ما قبل الإسلام في صورة خطب ووصايا أسست كلها على موسيقية اللفظ والتزام نظام القافية أو الفاصلة ، وفيها وجهت كل العناية إلى الأصوات فغمرت المعاني ، وأصبح من المألوف التعبير عن المعنى القليل بألفاظ كثيرة . فاستمع لما يروى عن أحد العرب القدماء يقول :

« قبل انتكاث العهد ، وانحلال العقد ، وتشتت الألفة ، وتباين السهمة » :

تجد أن كل هذه العبارات ذات معنى واحد . ثم استمع إلى نصيحة ذي الاصبع العدواني لابنـه :

« ألن جانبك لقومك يحبوك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وجهك يطيعوك » :

تجد أن كل هذه العبارات لا تكاد تؤدي إلا معنى واحدا . فالنثر العربي في عصوره الأولى قد انتظمته تلك الموسيقية ممثلة في العبارات المسجوعة حينا ، أو المتوازية حينا آخر .

ومن مظاهر الموسيقية في نثر اللغة لدى القدماء تلك العبارات التي تشتمل على ما يسمى بالاتباع والمزاوجة ، مثل : (حسن بسن ، عفريت نفريـت) .

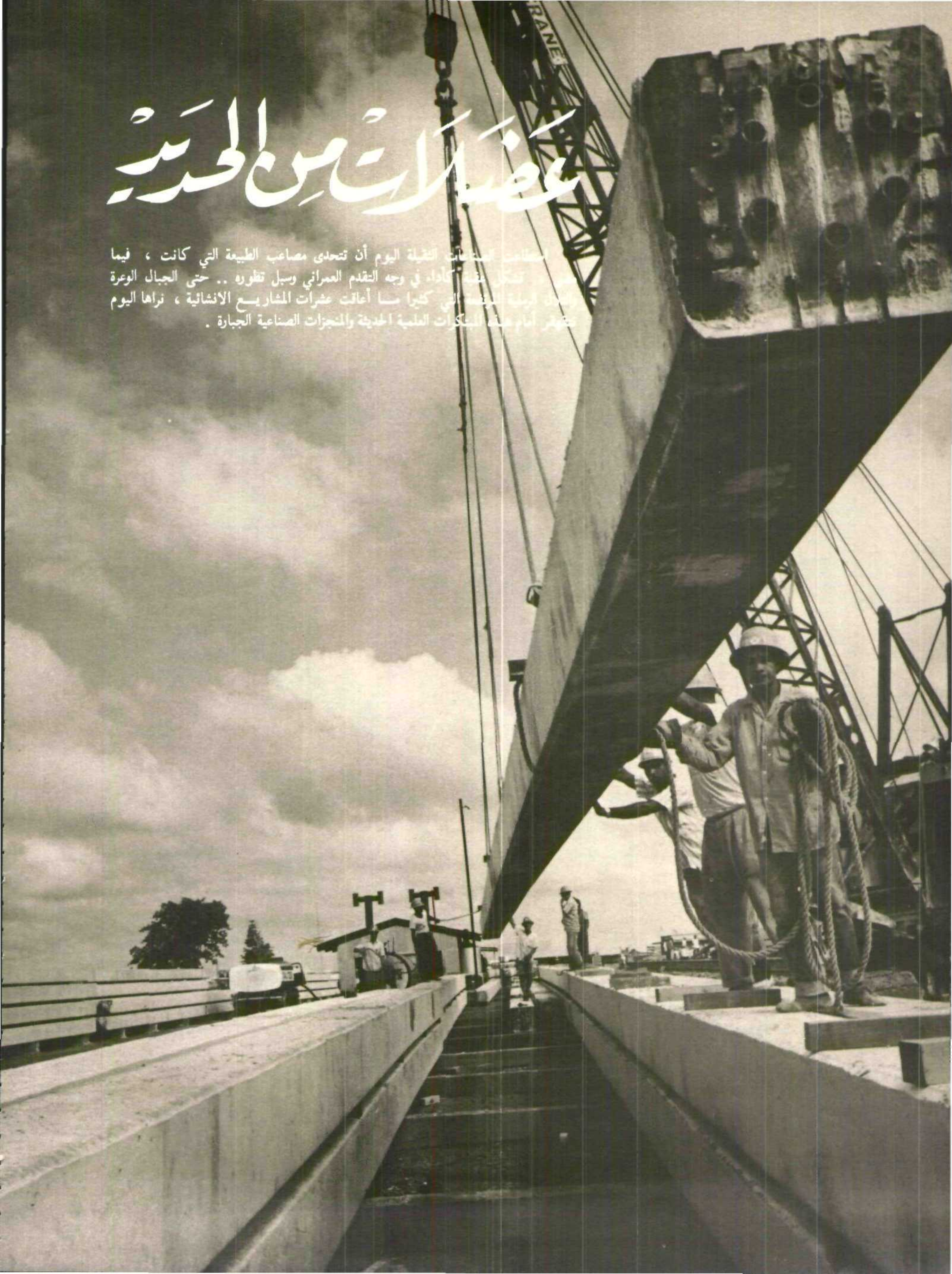
ونحو هذا من عبارات تنتهي بكلمات لا معنى لها ولا تستعمل مستقلة ، وانما جيىء بها لتقوية البنية فيما يسبقها من كلمات ، وذلك بترديد الأصوات المتماثلة ، وان لم تفد معنى جديدا في أغلب أمثلتها . وقد جمع ابن فارس في القرن الرابع الهجري في كتيب صغير مجموعة كبيرة من تلك العبارات وسمى كتابه بالاتباع والمزاوجة .

وهكذا نرى كيف نشأت الموسيقية في تراثنا الأدبي ، وكيف حرص عليها العرب القدماء في الشعر والنثر . واذا كان الأدب العربي الحديث قد بعد عن هذه الموسيقية في نثره ، بل وبعض الأمثلة من شعره فذلك لاعتماد الأديب في العصر الحديث على التدوين بتلك الرموز المألوفة التي ندعوها الكتابة أو الخط ، واعتماد الراغبين في أدبه على قراءته أو حل تلك الرموز . فأصبح الأدب أدب العين لا الأذن ، وكدنا ننسى أن السمع كما يعبر ابن خلدون أبو الملكات اللسانية .

فالكتابة التي اصطنعت منذ القدم للتدوين والتسجيل قد ظلت طوال هذه القرون وهي على حالها المألوفة لنا من قصور في تصوير الكلمات كما تنطق فعلا . وقد سادت القراءة الصامتة حينا طويلا من الدهر ، وكادت اللغة من أجل هذا تفقد موسيقيتها أو قدرا كبيرا منها .

غير أننا نتوقع أن الحال ستتغير بعد انتشار الإذاعة والأفلام الناطقة . فسيحل التسجيل الصوتي محل الكتابة المألوفة في كثير من شئون الحياة ، وسنجد في كل دار آلة للتسجيل يملي عليها المرء ما يشاء أن يقول ، ويستمع إليها كلما أراد أن يقرأ . ولا ريب في أن التسجيل الصوتي أدق في تصوير اللغات ، وأبعث على إرهاف الآذان وحساسيتها . وحينئذ سيعود للسمع سلطانه ، وتمرن الآذان فتصبح أكثر حساسية وارهافا ، وتعود اللغة إلى الموسيقية ويسود أدب الأذن تلك الأداة الطبيعية التي نشأت اللغات معها ، ونمت وازدهرت في ظلالها .

لهذا نتصور أن المستقبل سيكفل لأدبنا العربي العودة إلى الموسيقية التي كانت من أوضح معالمه قبل الإسلام وفي العصور الأولى للإسلام ، بل وفي معظم عصور اللغة .



عضلات من الحديد

استطاعت الصناعات الثقيلة اليوم أن تتحدى مصاعب الطبيعة التي كانت ، فيما مضى ، تشكل عقبة كأداء في وجه التقدم العمراني وسبل تطوره .. حتى الجبال الوعرة والوديان الرملية الموحشة التي كثيرا ما أعاقت عشرات المشاريع الانشائية ، نراها اليوم تتقهقر أمام هذه المبتكرات العلمية الحديثة والمنجزات الصناعية الجبارة .

إن فكرة انشاء أول ترعة بحرية تربط نهر النيل بالبحر الأحمر ترجع إلى عهد يسبق عهد فرديناند دي ليسبس ، الذي تناهت شهرته إلى الأسماع بفضل تشييده قناة السويس ، بنحو اثنين وثلاثين قرنا . ففي الفترة الواقعة بين القرنين الرابع عشر والخامس عشر قبل الميلاد ، وضع مهندس روماني يدعى « بليني » (Pliny) مخططا تفصيليا لذلك المشروع الضخم . كما كان من بين الذين حاولوا تبني مهمة استكمال ذلك المشروع آنذاك مهندس روماني آخر يعرف باسم نيتشو وذلك حوالي عام ٦١٠ قبل الميلاد . غير أن هذا المشروع لم يكتب له النجاح بعد أن ذهب ضحيته قرابة ١٢٠ ألف عامل . ثم استؤنف العمل من جديد في عهد الملك الفارسي داريوس (حسب ما جاء على لسان الجغرافي اليوناني «سترابو» ، لكن هذا أيضا لم يوفق إلى اتمام المشروع بناء على توصيات رفعها اليه مهندسوه ، والتي تقضي بعدم السماح لهم بالمضي في العمل بسبب ارتفاع منسوب مياه البحر الأحمر عن منسوب مياه نهر النيل . وقد ظل المشروع مهملا إلى أن جاء بطليموس الثاني ، فتم على يديه مشروع حفر القناة كليا .

والجدير بالذكر أنه خلال تلك الفترة نفسها (حوالي القرن الثامن الميلادي) ، بدىء العمل في تشييد أطول سور في العالم ، هو سور الصين الذي قام ببنائه امبراطور الصين الأكبر « شه هوانج — تي » وذلك لصد الغزوات المتكررة التي كانت تشنها قبائل الهون على بلاده من جهة الشمال. ويعتبر هذا السور الذي قام على أكتاف مئات الألوف من العمال والجنود الصينيين ، من عجائب الدنيا السبع إذ يبلغ طوله حوالي ٤٠٨٠ كيلومترا .

وعلى ذلك النمط نفسه ، وفي مثل تلك الظروف الشاقة القاسية التي بني فيها سور الصين ، بنيت الاهرام ، ومعظم الآثار القديمة . وقد تحققت كل هذه الأعمال مع العلم أن المعدات والأدوات التي كان يستخدمها المهندسون في انجازها آنذاك لم تتعد الروافع والعجلات والسطوح المائلة البدائية . وبالمقابلة بين الأعمال الانشائية الضخمة التي قام بها الانسان منذ أربعة آلاف سنة وبين التي يقوم بها في العصر الحالي ، نلمس بونا شاسعا وتباينا جذريا وهو أن الأول كان يقوم بتلك الأعمال اما بغية التمجيد بأسلافه الغابرين أو من أجل الدفاع عن بلاده من غزوات المعتدين ، بينما نجد الثاني يقوم بها بدافع من التطور الاجتماعي والاقتصادي والنفع العام . وحظ هذا الأخير أوفر من سالفه إذ تتوفر لديه مختلف أنواع المعدات الثقيلة التي تسير بقوة الزيت مما تسهل عليه تحديد المدة اللازمة لانجاز أي مشروع انشائي حتى ولو كان ذلك مجسما في بناء أكبر الجسور أو السدود .

لعل الفضل في سرعة الانجاز ودقة العمل اللتين يقترن بهما أي مشروع انشائي ضخم في يومنا هذا ، يعود إلى الآلات الثقيلة والمعدات الضخمة التي تستخدم في حفر القنوات والخنادق والأنفاق . وآلات الحفر الحديثة هذه تبلغ من القوة والضخامة بحيث تستطيع أن تشق الجبال وتحفر الأنفاق تحت الأنهار . ومن هذه الآلات والمعدات الحديثة التي يستعين بها المندسون في انجاز العديد من المشاريع العمرانية في الوقت الحاضر ، الجرارات والجرافات التي بامكانها ازالة التلال وسد الثغرات والتجويفات بسهولة وبسرعة فائقتين ، كذلك الشحنات الضخمة التي تسير بقوة الديزل فإن الواحدة منها تستطيع أن تنقل حمولة تناهز سبعين ياردة مكعبة .

وبتوفر مثل هذه المعدات ، كالروافع ، والجرارات ، والجرافات وممهدات الطرق وغيرها لم تعد ثمة صعوبة تعترض انجاز أي من المشاريع العمرانية مهما بلغت ضخامتها . فقبل اكتشاف البترول كان الانسان يجابه صعوبات ومشاق لا حصر لها في انجاز أي المشاريع العمرانية . فكان إلى جانب استعانته بآلاف الأيدي العاملة إذ ذاك ، يحتاج إلى سنوات وسنوات لانهاء مثل هذه المشاريع واخراجها إلى حيز الوجود . أما اليوم فإن المدة التي يحتاج اليها انجاز أي مشروع كان ، لا تتجاوز بضع سنوات . وهذا بدوره يعزى إلى وجود الآلات والمعدات الحديثة السالفة الذكر .

فهونج كونج مثلا ، منذ وجودها كميناء تجاري لأكثر من قرن ، وهي تعاني مشكلة نقص كميات المياه لديها ، وقد ازدادت هذه المشكلة استفحالا في السنوات القليلة الماضية نتيجة لتطورها الصناعي . وللتغلب على هذه المشكلة ، يجري العمل الآن على انشاء سد ضخم تقدر تكاليفه بنحو ٤٥٠٠٠٠٠٠٠ ريال سعودي (١٠٠ مليون دولار) .

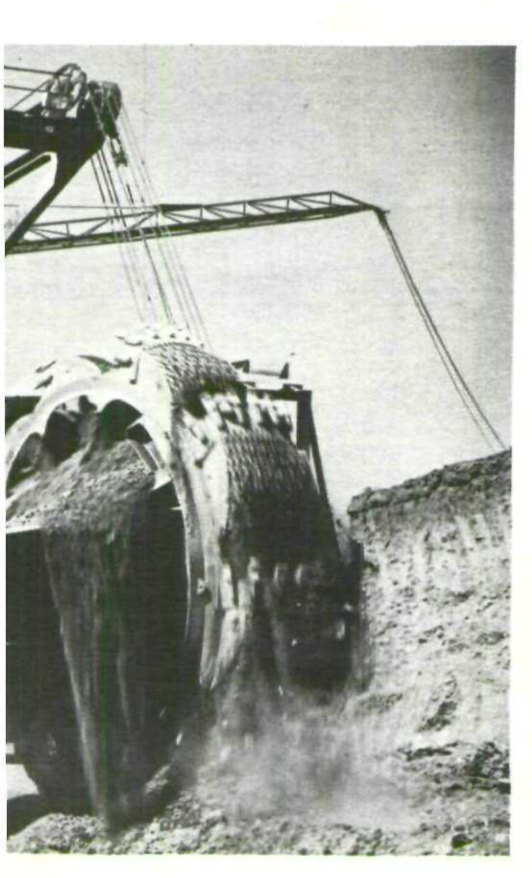
ومن المشاريع الضخمة التي اعتبر تنفيذها من الناحيتين الفنية والمالية أمرا مستحيلا ، مشروع مد طريق رئيسي عبر القارة الآسيوية . وقد اقترح هذا المشروع أمام منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٥٨ . وسيكون هذا الطريق الذي ينتظر انجازه في وقت لاحق من عام ١٩٧٠ بمثابة شركة تربط بين ثلاث عشرة دولة . وستتحمل الدول المعنية بالأمر عبء التكاليف المترتبة على هذه الشبكة البرية التي سيبلغ طولها مجتمعة حوالي ٥٤٤٠٠ كليومتر . وهذا المشروع ، ولا شك سيكون حافزا على التقدم الاجتماعي والثقافي والاقتصادي بالنسبة للبلدان المشتركة فيه .

ليست الغاية من اقامة المشاريع العمرانية التطور الاقتصادي فقط ، وانما هناك بعض المشاريع العمرانية يستهدف قيامها حماية الآثار التاريخية والحفاظ على تراثها كما هي الحال في نقل آثار «أبي سنبل» الفرعونية التي يرجع عهدها إلى أكثر من ٣٢٠٠ سنة . فقد ساهم في هذا المشروع التاريخي عدد كبير من دول العالم تقديرا منها للتراث العالمي القديم . والمعروف أن آثار أبي سنبل قد نحتت في عهد الملك الفرعوني رمسيس الثاني كذكرى تاريخية له ولزوجته نفرتيتي . ويضم صرح أبي سنبل حوالي عشرين نصبا أثريا جرى انقاذها ونقلها إلى مكان مرتفع دون أن تصاب بضرر يذكر . ويبلغ عرض هذا الصرح حوالي ٤٠ مترا ، ويمتد حوالي ٦٢ مترا في داخل الصخر . ولعل ما يسترعي الاعجاب هو الواجهة التي تضم أربعة تماثيل منحوتة تمثل الملك رعمسيس الثاني نفسه ، طول التمثال الواحد منها حوالي ٢٠ مترا . أما الواجهة نفسها فيبلغ ارتفاعها حوالي خمسة وثلاثين مترا . ويقدر المهندسون وزن المعبد بأكمله بنحو ١١٥٠٠ طن . ومما تجدر الإشارة اليه هنا أن عملية الإنقاذ هذه قد تمت بدقة وبراعة متناهيتين حيث قطعت أجزاء أبي سنبل إلى قطع تتراوح أوزانها بين ٢٠ و ٣٠ طنا ثم أعيد جمعها من جديد في المكان الآخر المعد لها . ويعتبر مشروع انقاذ آثار أبي سنبل عملا دوليا لم يسبق له مثيل .

روافع الضخمة تسهم في عمليات الانشاء . وتبدو هنا كتلة من الاسمنت المسلح يجري نقلها الى المكان المعد لها ضمن مشروع انشائي في سنغافورة .



هذه الجرافة هي من بين المعدات الثقيلة التي تستخدمها أرامكو في انجاز الكثير من أعمالها .

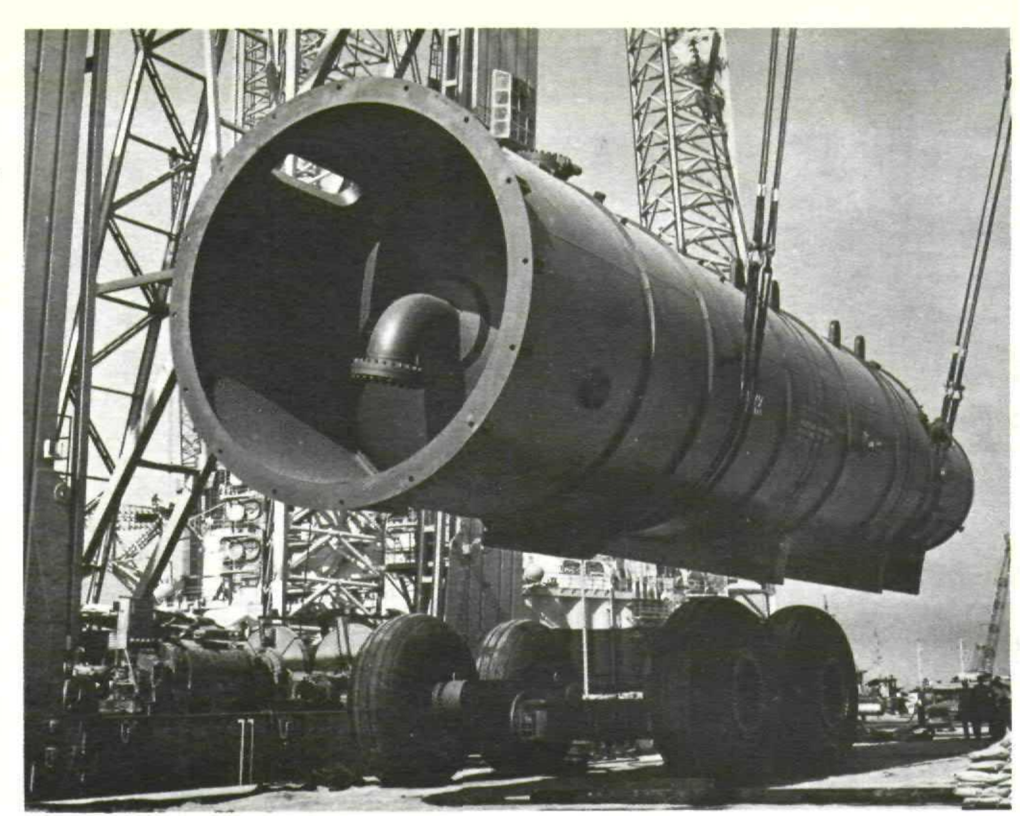


المناطق الوعرة لم تعد اليوم تشكل عقبة في وجه الجرارات الضخمة .

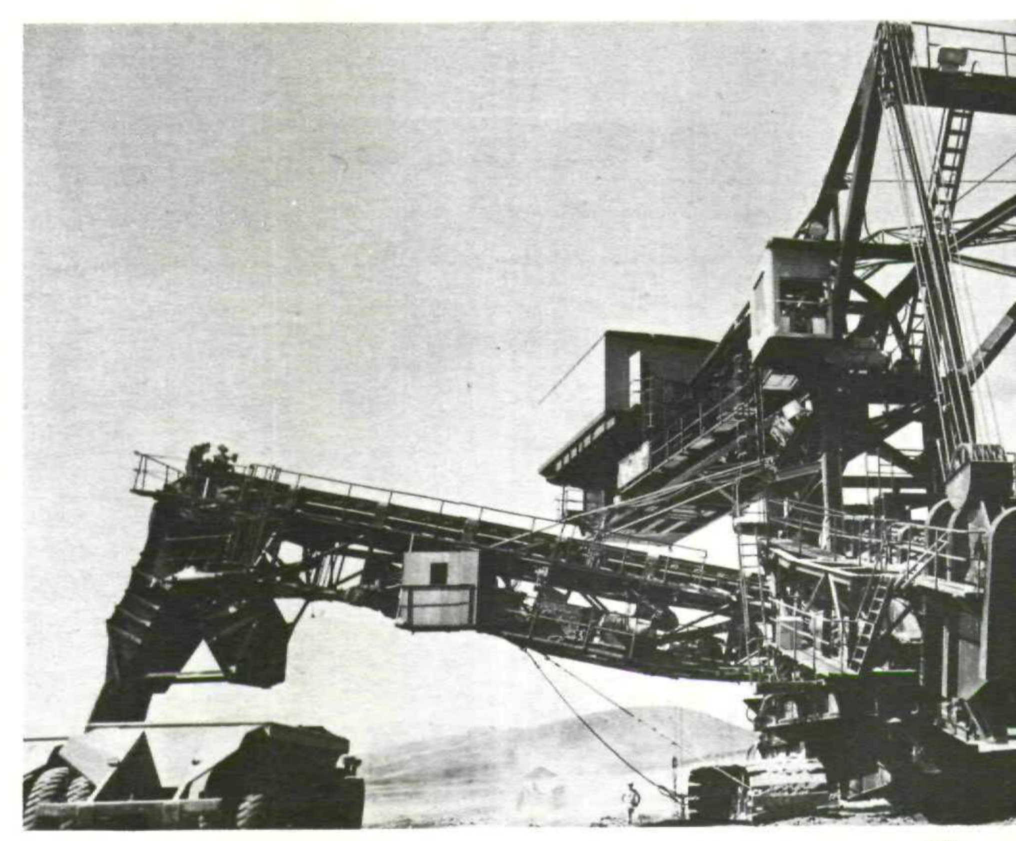
ومن المشاريع الإنشائية الضخمة التي يجري العمل على انجازها في الوقت الحاضر مشروع الدلتا في الأراضي المنخفضة – هولندا – والغاية الرئيسية من قيام هذا المشروع الحيوي الذي ينتظر انجازه في وقت لاحق من عام ١٩٨٠ ، هي ربط الجزر الكبرى الواقعة في مصب نهر « شلدت » بشبكة من السدود وجسر يبلغ طوله حوالي خمسة كيلومترات عبر مصب نهر شلدت الشرقي . ومثل هذا المشروع ، ولا شك ، سيكون له أثر فعال في تنمية الاقتصاد الهولندي .

بالاضافة إلى المشاريع العمرانية الآنفة الذكر ، فإن هناك مزيدا من المشاريع العمرانية الضخمة يجري العمل الآن على دراستها واعداد الخطط اللازمة لتنفيذها . ومن هذه المشاريع مثلا اقامة نفق كبير تحت القنال الانجليزي. ويشترك في تمويل هذا المشروع الضخم وانشائه كل من بريطانيا ، وفرنسا ، والولايات المتحدة الأمريكية . وتقدر تكاليف انشائه بنحو ٤٥٠ مليون دولار . وقد فرغ المهندسون حتى الآن من دراسة الجزء الممتد بين «دوفر» و «سان جات» بالقرب من مدينة «كالاي» الواقعة شمالي فرنسا ، والبالغ طوله حوالي ٣٥ كيلومترا . كما يجري في اليابان حاليا انشاء نفق مماثل يربط شمالي جزيرة «هوكاد» بجزيرة «هونشو» الصناعية . وقد صمم هذا النفق على شكل طريق حديدي يمتد حوالي ٣٦ كيلومترا من نقطة مدخله إلى نقطة مخرجه . وسيتم حفره على عمق ٣٤٥ مترا تقريبا .

وخلاصة القول أن الفضل الأول في انجاز الكثير من هذه المشاريع العمرانية التي أسهمت وما زالت تسهم في التطور الاقتصادي يعود ، ولا شك ، إلى توفر منتجات الزيت المختلفة وسهولة نقلها إلى أماكن العمل وتزويد المعدات والآلات الثقيلة بالوقود اللازم لتشغيلها وتسييرها .



هذا الوعاء الذي يبلغ وزنه قرابة ٢٧٥ طنا وطوله ٩٨ قدما استدعى نقله من فرضة رأس تنورة البحرية الى مقره في معمل غاز البترول السائل في بقيق ، استحضار قاطرة خاصة .



آلة حفر ضخمة تستطيع ازاحة تلة رملية بمعدل ٤٥٠٠ ياردة مكعبة في الساعة .

اعداد : علوي شرف هاشم

في مهبط الوحي

تأليف : الدكتور محمد بديع شريف



عرض وتعليق : السيدة وداد سكاكيني

ألف هذا الكتاب الجليل في موضوعه ومحتواه الدكتور محمد بديع شريف من أدباء العراق المعدودين ، وقد أودعه تأملاته وانطباعاته في « مهبط الوحي » منذ عام .

وفي مقدمة المؤلف تبيان لحوافز المبادرة الى منزل الرسالة والرسول ، حتى أتيح له أن يقيم في هذه الآفاق المباركة أربعين أسبوعا أطال فيها التفكير والقنوت والتجوال ، فرأى قوة الدين واليقين في هذه الحشود المزدحمة والخيام القائمة التي اتسعت للألوف من أقطار الشرق والغرب ، في منبسط عرفات ورحاب منى ، وقد جمعهم شعور واحد وعقيدة واحدة وموطن روحي واحد ، فأقبلوا عليه بشوق ولهفة متلمسين التاريخ في أعظم معجزاته ، طوافين حول أول بيت وضع للناس ، فكان مقام ابراهيم تجاه الكعبة في أرواحهم الحوامة عليه ، وكان زمزم منهل ظمئهم اللهيف الى الورد المورود ، والمعين الذي استقى منه ابراهيم واسماعيل .

بدأ الأديب العراقي حجته بالانتقال من جدة الى المدينة بسيارة تخطفت الأرض شوقا الى مرقد الرسول عليه السلام ، فكان السائق لا يتمهل في طريقه الطويل الا اذا حاذر منعطفا أو تصاعد مرتفعا ، وكان وقوفه بمن معه حيث أرادوا ذلك عند مواقع ومعالم كان لها ذكر وأثر في تاريخ العرب والاسلام . ولما تراءت المدينة لمؤلف الكتاب ، سرى في جوانحه الخشوع وحلق الخيال الى يوم الهجرة التي كانت نقطة الانطلاق لرسالة سيد الخلق . فان هذا الرسول الأمين أراد المضي من وطنه مكة التماسا للحرية في ادائها وتبليغها ، وامتحانا لعزم المؤمنين بها ، وقد وضع الخطة في الدعوة لها ونشرها مع صاحبه أبي بكر الصديق . فكان الدكتور بديع مأخوذا بتلك الهجرة القاسية التي آثرها الرسول من أجل الرسالة التي حملت النور الى العالم ، وكانت رحمة وهداية للانسانية في كل العصور . فصور بقلمه البليغ كل ما كان من الهجرة وما جاء بعدها من روعة وهدف وفتح مبين .

وبعد فإن كتاب « في مهبط الوحـي » لم يكن صورا وذكريات لدبلوماسي عابر أو صحافي متجول ، بل كان تأملات عميقة وصفحات مشرقة بالمحبة والمعرفة والايمان لأديب عربي ثقة ملأت التقوى سيرته وجهاده ، فسارع إلى مهبط الوحي ليستجلي عهد النبوة وعهد الرسالة ، ويعود بالخاطر والتاريخ إلى مدرسة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، التي أخرجت الصحابة والقادة ، وعلمت القضاة والمفكرين بما أوتي صاحبها من وحي وتدبير وأمانة حتى شرعت رسالته للمؤمنين بها ما يقيمون عليه قواعد حياتهم ومعيشتهم ، وتحرير نفوسهم من أوهام العبودية والجهالة ، ليسموا بطموحها وخصائصها الى حياة تليـق بعروبتهم وانسانيتهم التي أراد الله أن يذهب عنها الشرك والانحراف ، ويعدها لبناء أمة قوية بايمانها وكفاحها وتعاليم قرآنها ومزايا أبطالها والمصلحين فيهـا .

وفي هذه النشوة الروحيـة عاود التأمل في الغابر والحاضر مؤلف الكتاب ، فأخذ يصف المدينة المنورة ، وكيف امتلأ فؤاده بنورها وخيرها وقد وجد الشوارع رحبة نظيفة ونظام المرور مأمونا مريحا ، وحدائق النخيل في الضواحي

كالغابة ، وأشجار العنب والرمان في خضرة نضرة ، والبنيان في هذه المدينة المشرقة ينتشر جديده في أرجائها والفنادق فيها متعددة قريبة من مسجد الرسول عليه السلام . وما أروع منظر المصلين في هذا المسجد . وفي أروقته ورحباته وجوه وألوان ، رجال ونساء ، وقفوا خاشعين أو جلسوا صفوفا مرصوصة بالمساواة التي أجملها القرآن في جملة واحدة « انما المؤمنون أخوة » . فاذا انطلقوا في السوق والطريق كانت منهم الرطانة واللكنة في مختلف اللهجات ، ولم يكن فيها أثر لفصاحة قريش وبلاغة الاوس والخزرج ، وأين منها لهجات العرب اليوم على اختلاف الديار والامصار . وقديما تنبه المعري الى مثل هذه الرطانة فذكر امرأ القيس في فصاحة عهده وأسف لوهن أصاب الفصحى في زمانه . وهذا من طبيعة العصور في حياة الشعوب وتطور لغاتها وثقافتها ، لكن منزل القرآن شاءت ارادته بأن تكون آياته حارسة للضاد على ترادف الزمان مهما طرأ عليها من عوادي اللهجات في الركاكة والرطانة .

ولئن أبدى الدكتور بديع استنكاره لرطانة الحشود من الحجيج وهم من أشتات البقاع واللغات ، فانه يعلم أن في أرجاء مكة والمدينة وغيرهما من البلاد السعودية مهادا للعروبة والبيان والتراث . ولا تزال الألسنة الفصيحة فيها والديار العامرة بالأدب والضاد مستمسكة بهذه الأمجاد مشاركة غيرها من العواصم العربية والاسلامية في الحفاظ على اللغة وأصول البيان .

لقد أطال المؤلف وصفه لهذه الجموع المحتشدة حول المسجد الوقور الذي جدد بناؤه في السنين القريبة ، وتطاولت أعمدته الفخمة في طراز عربي جميل ، وقد علت جدرانه آيات من الذكر الحكيم .

أقام الأديب العراقي أياما في المدينة متنقلا في أرجائها ، مستطلعا كل جديد فيها ، مستوحيا أروع الذكريات من حياة الرسول فيها ، ثم ارتد الى مكة المكرمة وفي قلبه الشوق للعودة ، فدخل مهبط الوحي بين زحام الحجيج ، وقد أشرقت الوجوه بالسعادة واتصلت القلوب بآماد الخالق خافقة بذكره ، فامتلأت جوانحه اعتزازا بهذه الرسالة التي جمعت المسلمين حولها ومحت الفروق في الجنس واللون وفي الزمان والمكان. وكان قرآنهم ينبوعا فياضا بالعدل والمحبة والأخوة ، هاديا لمن ضل أو انحرف .

وفي مكة المكرمة طاب المقام للمؤلف ، وطال تطوافه في آثارها وضواحيها . فلم يترك جبلا أو مسجدا ولا بقعة تاريخية الا وقف عندها متأملا ، وكان تفكيره مشدودا الى منابع النور الالهي الذي غيّر حياة العرب وألقى عليها شعاعا أبديا لا يغيب عن الوجود بما آتاها الله من فضله ورحمته . وأول ما شاق الدكتور بديع في استجلائه معالم العهد النبوي ، هو جبل النور المشرف على الكعبة ، وفيه غار حراء مأوى التفكير والتعبد لسيد المرسلين ، ومهبط الوحي الأول لرسالته العالمية التي بنت الحضارة ودفعت الانسانية الى وجود أرقى وعقيدة أبقى .

لم يعبأ المؤلف بصعوبة الارتقاء الى الجبل وقد لفه الليل بظلامه . لكن الخيال جنّح بجناحيه كما قال ، فمضى جهده وهو يستعيد مطاوي التاريخ ويتساءل كيف كان النبي محمد يصعد الى الجبل ، فكأن العناية الالهية ألهمته أن يتمرس بالشدة ويألف الصعاب . وكل ذلك كان مقدمة للقيام بالرسالة التي كانت أشد من شق الصخور .

لقد استطاع الأديب الدكتور بديع شريف أن يجعل من كتابه الجديد دليلا علميا وثقافيا لكل حاج ، فانه لم يغادر صغيرة ولا كبيرة من شؤون الحج ومناسكه وأسبابه الا شرحها وبين الهدف منها ، وما أشد حاجة الحجاج الى ثقافة تبصرهم بكل أمر من أمور هذه الفريضة التي يؤديها الكثير بصورة آلية تقليدية لا يشفع فيها الا الاعتقاد الصافي والنية الخالصة .

هذا قليل من كثير جاء في « مهبط الوحي » عن بيّنة ومعرفة وايمان أرضى به المؤلف الدكتور بديع شريف نفسه وقرّاءه ، وان كتابه هذا ليقف باعتزاز الى جنب مؤلفاته العربية القيمة وترجمته للروائع العالمية .

أجوبة حاول أن تجيب

— ١ —

أ — مهجع ، مولى الخليفة عمر بن الخطاب .
ب — سعد بن أبي وقاص .
ج — غزوة ودّان .

— ٢ —

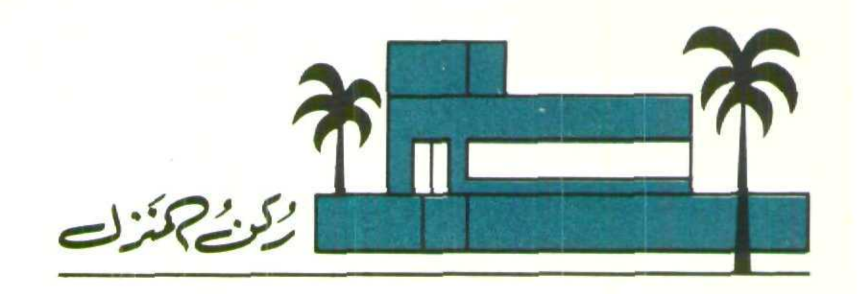
أ — ٦٤٠٠٠٠٠٠ ميل مربع تقريبا .
ب — ٣٢٠٠٠٠٠٠ ميل مربع تقريبا .
ج — ٢٩٠٠٠٠٠٠ ميل مربع تقريبا .

— ٣ —

أ — في فنزويلا .
ب — في كاليفورنيا .
ج — في كندا .

— ٤ —

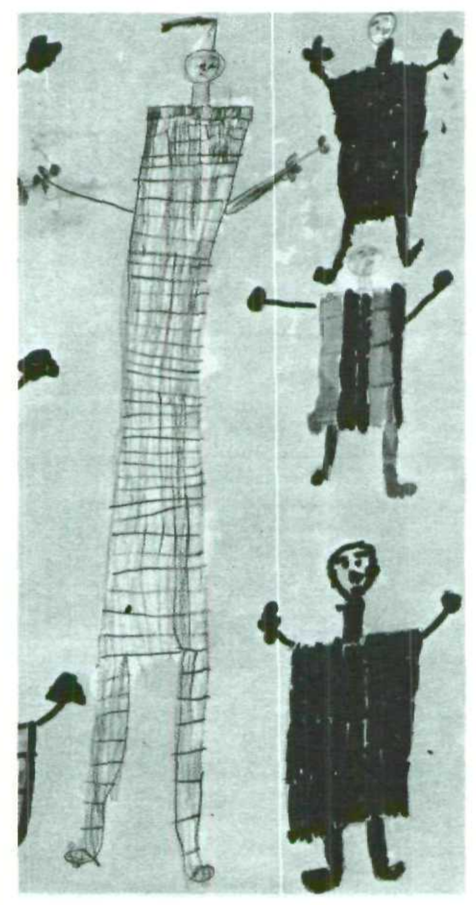
أ — لويس روبرت (فرنسي) .
ب — مكسيم لوبون (فرنسي) .
ج — ارنست لورنس (أمريكي) .

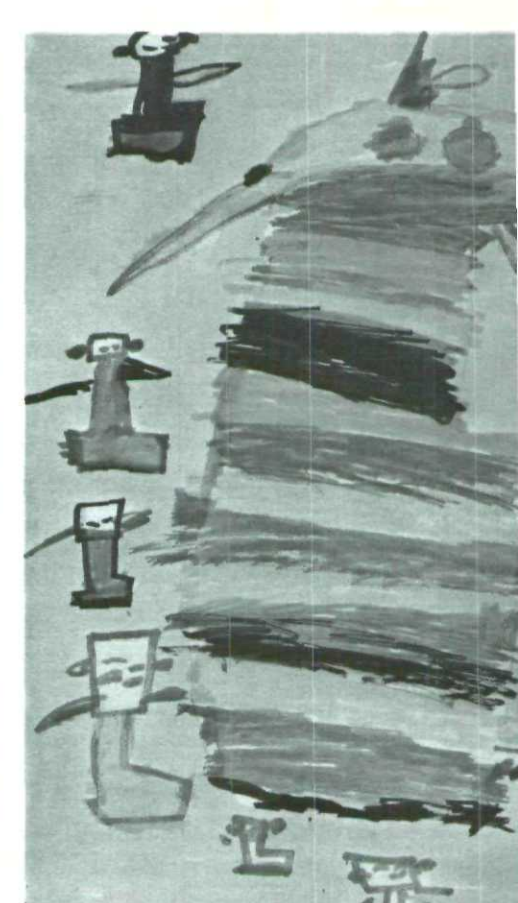


رسوم الأطفال

ما بين الرابعة والسابعة مرحلة ما قبل الرمزية

بقلم السيدة د. ح. زكي





رسوم الأطفال بين سن الرابعة والسابعة هي للتعبير عن شيء يعنيه الطفل من خلال امكاناته الفنية المحددة . وهناك فرق شاسع بين ما يريده الطفل وبين الرسم الذي يعبر به عنه . ونجد أن الطفل يصل إلى درجة كبيرة من السرور لو تمكن من ايجاد علاقة بين رسمه وما يريد أن يرسمه . فمثلا عندما يرسم الطفل دائرة ويربطها برأس الإنسان ، ثم يرسم الخطوط التي تتفرع منها طوليا كالأرجل وعرضيا كالأذرع ويقارن بينها وبين الإنسان من ناحية أخرى ، يشعر الطفل بفخر كبير . وتعتبر هذه المرحلة من التعبير ، أي عندما يربط الطفل بين تعبيره الفني وما يريد من الواقع ، مرحلة الرمزية الشكلية أي مرحلة ربط الرمز بالشكل الواقعي . ويستمر الطفل في انشاء علاقات جديدة حتى يكون له أسلوب خاص به في مرحلة الرمزية الفعلية .

والطفل في مرحلة ما قبل الرمزية تجده يغير رموزه دائما وباستمرار . ومن الحقائق الواقعة أن الطفل يرسم الانسان كدائرة للرأس منها خطوط طولية للذراعين والساقين . والطفل بجانب رموزه هذه يعلم أن للإنسان أعضاء

أخرى كثيرة مثل الأصابع والأظافر والأعين والأنف ... الخ ولكنه عند رسمه للأيدي والأرجل يسجل الأعضاء الرئيسية الإيجابية فقط ، وعندما يأخذ في تسجيل بقية الأعضاء يدل ذلك أن علمه الايجابي ازداد واتسعت مداركه ومعلوماتــه .

وتعتبر المعلومات الأولية التي يعرفها الطفل مثل الأصابع وتقاطيع الوجه علما سلبيا . ولأثبات امتلاك الطفل لقدر كبير من المعلومات السلبية أي التي لا يستعملها أو لا تبدو في أعماله الفنية ، نضرب مثلا بالطالب الذي يدرس في الأدب العربي قصائد من الشعر الجاهلي لكبار الشعراء ، وعنده حصيلة كبيرة من المفردات العربية التي تعينه على قراءة هـذا الشعر وفهمه ، ولكنه مع ذلك يمل أن يستخدم هذه المفردات في حديثه أو حتى في كتاباته الانشائية . فهذا العلم إذن علم سلبي ، والى أن يصبح جزءا من ذخيرة الطالب ليستخدمه استخداما فعالا يظل سلبيا عديم الفائدة ، ولكنه لو استخدمه استخداما حقيقيا لأصبح علمه بهذه المفردات علما ايجابيا وكذلك الحال بالنسبة للطفل ورسومه . ولكي يصبح علم الطفل السلبي علما ايجابيا يدخل في نطاق نموذج الشكلية ، ينبغي أن نستعين بالخبرات الفردية والاثارة لتحقيق هذا الغرض .

ثم نرجع مرة أخرى إلى الحديث عن الرموز في رسوم الأطفال في مرحلة ما قبل الرمزية الفعلية ، نلاحظ أن خطوط الطفل في رسمه لا تربطها علامة شكلية مع الموضوع الذي يعبر عنه على الرغم من أن الطفل يفترض أنها تمثل الواقع . ذلك أن الطفل يستخدم أشكالا هندسية بديلة ، أي أن الخطوط التي يستخدمها الطفل تفقد معناها الرمزي لأنها فصّلت على الشكل كله أو الهيئة العامة للشيء المرسوم وتصبح هذه الرموز الشكلية خطوطا هندسية لا معنى لها إلا بقدر ارتباطها بانفعالات الطفل صاحب الرسم وشخصيته . يؤيد ذلك أن هذه الرموز الشكلية تنبثق من التخطيط الذي يعكس بعض خواص الطفل الشخصية لنفسيته وحالته الاجتماعية . وقد لاحظ بعض العلماء في دراساتهم لهذه الرموز عن القطاعات الكبيرة من الأطفال . أن الطفل الكسيح مثلا يرسم خطوط جسم الانسان غير مستقيمة فيعكس بخطوطه المعوجة العاهة التي يعاني منها . وكذلك بالنسبة للحالة النفسية وجد العلماء أن الطفل المنطوي يرسم دوائر غير كاملة وخطوطا غير محددة بينما الطفل المنبسط يرسم الزوايا واضحة صريحة محددة .

سبق أن قلنا أن الطفل من مرحلة ما قبل الرمزية أي بين الرابعة والسابعة من عمره يرسم شكل الانسان كدائرة .. الخ ، وانه بهـذه الرموز يجد الرضا في اشباع رغبته في اقرار العلاقة بين رسمه وبين الحقيقة أو الواقع . ومدى ازدياد احساسه بالانسان وخواصه وصفاته يرجع إلى مقدار نمو الطفل العقلي ومقدار الاثارة السليمة التي تقدمها المدرسة للطفل . لذلك يجب أن تستغل المدرسة هذه الفترة من عمره حيث تكون رغبته في تحصيل أفكار أو مدركات جديدة . وللبيئة أثر أيضا في تعبير الطفل ، ومن هنا نلاحظ أن شعور الطفل بذاته كجزء من بيئته ضروري لتحقيق التعاون بينه وبين التنسيق البصري . وبفشل الطفل الذي لم يحصل طبيعيا على هذا الشعور عند ممارسته النشاط الاجتماعي في محاولاته ، يحصل على الترابط أو التعاون أو ربط الحروف الأبجدية بعضها بالبعض الآخر بحيث يستطيع تعلم القراءة . وجدير بالذكـر أن الرابطة بـين الألوان والأشياء تكون معدومة . فالطفل في هذه المرحلة قد يرسم الانسان باللون الأحمر أو الأخضر أو الأصفر أو أي لون آخر على حسب جاذبية اللون له . وهنا نستطيع أن نقول أن علاقة الطفل باللون ، وعلاقة اللون بالبيئة انما يتحددان عن طريق الارتباط العاطفي . وحيث أن علاقة الطفل بالبيئة تأتي عن طريق الذات أي عن طريق شخص الطفل ذاته ، فيكون من أنجح وسائل الاثارة تركيز اهتمام الطفل بجسمه واثارة اهتمامه بوظائف أعضائه المختلفة ، عن طريق الخبرات الشخصية ، حتى يتم له الارتباط الذاتي بالبيئة ، مثال على ذلك ، نعطي الطفل بعض الصلصال ونسأله عنه وكيف يكون شكله ونعرفه من أين نحضره وهل هو لين أو صلب ، ثم نطلب منه عمل تمثال يكون لليدين فيه عامل مهم كالفلاح وهو يعمل . . الخ . ثم بعد ذلك نطلب منه رسم موضوع يكون للرجلين أيضا عـامل مهم فيـه . عندئذ نـرى أن الأطفال الذين كانوا يرمزون لليد بخط واحد أو شكل دائري أو بيضاوي قد أضافوا إلى اليد ما يشبه الأصابع والكف . ومن هنا نكون قد ربطنا بين معارف الطفل الرمزية وبين البيئة برمزنا لها بالفلاح الذي يعمل بيديــه .

فــوائــد مَــنزلِيــة

• لتفادي تلبد الأرز والمكرونـة عند سلقها أضيفي ملعقة صغيرة من الزيت الى الماء قبل غسل الأرز والمكرونة فهذا يمنع تلبدهــا والتصاقها ببعضها .

• أضيفي قليلا من الخل أو الحامض إلى الماء المغلي عند سلق البيض فهذا يحول دون اسوداد وعـاء الألومنيوم .

• أخرجي الطعام الموجود في الثلاجة مرة كل أسبوع وامسحيها من الداخل بخرقة مبللة بمحلول صابون غير معطر ، واذا كانت رائحتها نفاذة مثل رائحة السمك فاستعملي قليلا من الخل ، وأزيلي الثلج المتجمد إذا بلغ ربع بوصة ، بقطع التيار عنها وغسلها من الداخل بماء بارد ، او بماء دافيء يحتوي على بيكربونات الصودا (ملعقة صغيرة لكل ثلاثة أكواب) ثم جففيها جيدا وأعيدي الطعام اليها .

ضيفي الى معلوماتك

• متوسط عدد الشعر في رؤوس الشقراوات يبلغ نحو ٤٠٠٠٠ شعرة في حين أن عدد الشعر في رؤوس السمراوات أكثر من ذلك بكثير .

• قلما تصاب المرأة بالصلع ولكن هذا لا يمنع حدوثه في أحوال نادرة ولذلك يجب على المرأة الاهتمام بشعرها ، وتقوية فروة الرأس ، ومعالجة كل مرض يطرأ على الجلد .

• يرجع الشيب المبكر لأسباب وراثية ، ولكن في بعض الأحيان يحدث نتيجة عوامل عصبية أو مرض مفاجيء ، أو ارتفاع كبير في درجة حرارة الجسم . وقد يكون اختلال سير الدورة الدموية أو احتياج الجسم لبعض الفيتامينات من أسباب الشيب المبكر ، ولذلك يجب على المرأة تجنب الانفعال والاهتمام بالتغذية والوقاية من الأمراض حتى تحافظ على جمالها وجمال شعرها .

قصة قصيرة

بقلم الاستاذ نبيه غطاس



سراب

كان رأسه الصغير معرضا لمختلف النماذج البشرية ، فهو لا يكاد يتعرف الى نموذج جديد من الناس حتى يشغف به ويحتضنه ، ويضمه الى النماذج الأخرى التي لديه . ولكنه سرعان ما يمله ويمجه عندما يلتقي بنموذج آخر ، فاذا هو يشيح بوجهه عن بطله القديم ويفسح صدره للنموذج الجديد وهكذا ...

وهو يقنع بالقليل من تلك النماذج : يعجبه في أحد الرجال شارب امتد كالخيط فوق شفته العليا ، فاذا هو في اليوم التالي أمام المرآة في مرسم اناقته ، يخطّط وينتف شعرة من هنا وشعرة من هناك الى أن يستقيم الشارب الشبيه بشارب نموذج الأمس . ويأنس الى ابتسامة رآها على فم فتى تعرف به في احدى الحفلات فاذا هو ، منذ تلك الليلة ، يتدرب على « ارتداء » تلك الابتسامة كما لو كانت قطعة من ملابسه ، ليضعها أو يبدلها في الوقت المناسب ..

ومنذ أكثر من سنة ، سلب لبه شاب متأنق في اللباس والحديث معا ، شامخ الأنف والرأس ، يحمل في يده عصا ذات مقبض فضي . فاذا بصاحبنا فجأة يتأنق ، على غير عادته ، ويروي علينا حديثا ما سمعنا مثله من قبل وهو يدفع برأسه وأنفه الى السماء ! أما العصا ذات المقبض الفضي التي اشتراها على الفور فقد حملها مرة واحدة فقط ، لأنه خرج ذات صباح من بيته ملوحا بها وهو يمشي مشية لا عهد لكلب الجيران بها ، على الرغم مما بينهما من ود سابق ، فنبحه أولا ثم هجم عليه ، فاضطر صاحبنا الى ضربه بالعصا فانكسرت على ظهر الكلب وبقي المقبض الفضي في يده .

والحقيقة ان ابطاله صغار ، كلهم صغار ... المشية المختالة تأسر قلبه ، وحديث واحد من الناس عن الحفلات يمتلكه فيتعالى على أبناء طبقته ويحلق بـه الغرور الى ما فوق النجوم .

وهو ، كما قال « امرسن » لقد ظل أبطالـه صغارا يحملون سيوفا من خشب ورماحا من قصب . بينه وبين « دون كيشوت » تعاطف روحي ، ويصل بينهما جسر طويـل يقف صاحبنا عـلى الطرف الآخر منه فلا يرى من « دون كيشوت » سوى لمعان سيفه وبريقه !

لقد كان صاحبنا يهوى التعرف بذوي الصيت والجاه . انه لا يبغي منهم منفعة ولا تحقيق مصلحة ، « فالله منعم عليه بكل شيء » . لكنهم على حد رأيه نماذج بشرية رفيعة ، يحتذى بها ، ولو لم تكن فيهم صفات خارقة لما كان

لهم ما لهم من الصيت والجاه ولما ارتفعوا على غيرهم من الناس . كانت غايته الوحيدة أن يصل الى مرتبتهم ، ان يرتفع بهم ومعهم ، وهل الى ذلك طريق أيسر من ان يخطب ودهم ويعرفهم عن كثب ويحفظ اسماءهم وألقابهم عن ظهر قلب ؟

وهو في كل مناسبة : أعيدا دينيا كانت أم عيدا وطنيا أم حفلة زواج أم ولادة طفل ، يبعث ببرقية الى الوجيه الفلاني أو ذلك الأفندي — دون أن يعرفهم شخصيا — وهم بدورهم يجيبونه ، بالطبع ، شاكرين تلطفه وكياسته . وحالما تصل الاجابة ، يودعها حافظة نقوده ، ويعرضها على أصدقائه ومعارفه مصحوبة بالعبارة التقليدية : « والله وصلتني أمس برقية من فلان ، أتريدون أن تروها ، هذه هي » ، ويتناولها من احشاء الحافظة ولا بأس هنا أن ينفرط عقد البطاقات الأخرى عفوا — بالطبع — وتقع منه على الأرض ليلتقطها واحدة واحدة معددا الأسماء الكبيرة على مسامع الأخوان . وهو عندما يتحدث عن هؤلاء الناس يشعر بالدفء والطمأنينة كشعور القطة الآمنة عندما ترقد أمام موقد النار في ليلة ماطرة .. وكأني بنفسه تتكوم كلها حول حافظة نقوده المنتفخة ببطاقات أولئك الناس العظماء تصطلي بدفء القابهم وأسمائهم .

كان لا يعرف من بحر العظمة غير شطآنه ورماله وحصبائه . كانت قدماه تتلهيان عنه بماء شاطئه الضحل واصدافه الفارغة . اما لآلئه وأمواجه وأسراره فكانت نفسه عاجزة عن ادراكها وفهم كنهها .

وكان كثير الترحال والسفر ، وله ولع خاص بعواصم أوروبا التي يشده اليها — حسب زعمه — شوق وحنين دائمان . وهو عند عودته من احدى هذه الرحلات يحدثك عما شاهده هناك : يحدثك عن مطاعمها ومقاهيها وفنادقها ومتنزهاتها حديث العارف الخبير . والمطاعم بالنسبة اليه (وهو ... ذواقة طعام) أهم ما في تلك المدن ، يدور جم حديثه عنها ، وشخص براعة تصويره في وصفها . فهي علامات وشواهد كتلك التي يستعملها المساحون تنطلق مقاييسهم منها وبالنسبة اليها . فإن سألته بعد عودته من رحلة قام بها إلى باريس عما شاهده في « اللوفر » مثلا قال لك :

— « اللوفر ؟ » هل هو من الدرجة الأولى ؟ أين يقع عن مطعم « مكسيم » ؟ لا بد أنني أعرفه ، وان سألته عن « الاكروبوليس » في أثينا ، لظن أنك تسأله عن مطعم « اللوكولوس » فيقول لك متلمظا بريقه :

— بلى ، أعرفه ، هناك يقدمون أفضل أنواع اللحوم .. وفي فترة قصيرة من حياته أعجب بالمثقفين ايما اعجاب وكان يرى أنهم أعلى النماذج البشرية . فشد الرحال يحاول اللحاق بهم ، ولكن هيهات أن يواكبهم ويجاريهم وقد أبى إلا أن يركب حمار « سانشو » ويتمنطق بسيفه الخشبي !

راح يجمع من الكتب كل ما غلا ثمنا وكبر حجما . فاقتنى منها عددا لا يستهان به في وقت قصير . قرأ بعضها على زعمه لكنه لم يفهم حتى القليل من ذلك البعض . وراح إذا ضمه مجلس أدبي يروي أسماء الكتب التي اشتراها قبل أيام ، والكتاب الذين يستمتع بقراءة مؤلفاتهم ، والكتب الأنيقة التي «تزين» مكتبات المدينة ..

وكان من أسعد ساعات حياته أن يراه صديق له أمام مكتبة يتفحص واجهاتها أو يحمل بضعة كتب وأسفار وعلى وجهه ابتسامة الرضا .

ومرة أهداه صديق خبيث رواية للكاتب القصصي « سومرست موم » يتمتع أحد أبطالها — واسمه «أليوت» — بشخصية شبيهة صاحبنا ، فكانت هذه الرواية طعما له أغراه بقراءة الكتاب حتى دفته الأخيرة (ولعله الكتاب الوحيد الذي قرأه كله) . ولولا صحبة أليوت ودروس المحاكاة والتقليد التي أفاد منها لظل هذا الكتاب إلى الأبد بين بقية كتبه المنسية وتحت غطاء من غبار .

أعجبته في أليوت شخصية الأرستقراطي . فقد كان هذا يدّعي حبه للأدب والمجالس الصاخبة ويعشق معاشرة الفنانين ومشاهير الناس . عاش حياة عريضة ، غير أن قشورها أكثر من لبابها وباطلها أكثر من حقيقتها . كان أليوت سرابا في سراب . تطرب للاستماع اليه من بعيد والى رؤيته من بعيد ، حتى إذا سبرت غوره وعرفته عن كثب شعرت بخيبة أمل كما تشعر عندما تكتشف أن الزهرة التي أمامك في الإناء زهرة اصطناعية عديمة الرائحة .

وتأثر صاحبنا بأليوت وأحس باكتفاء في أعماق نفسه ولكنه ، والحق يقال ، ظل يحس بأنه تعب وغريب عن بيئة المثقفين ورجال الأدب ، وحيد بين جموعهم كالعوسجة بين الرياحين .

ظل غريبا هنا وهو ذو الرصيد الهزيل من الثقافة وان يكن يدعيها . أتعبه اللحاق بالمثقفين ، أصدقائه الجدد . وراح يعدو ويلهث ، فقصر عنهم ، وحال لونه ونصل أمام أصدقائه فبانت لهم حقيقته ، وانكشف لهم جوهره ، فإذا هم ينفضّون من حوله ويهملونه . وفي احدى الساعات الهادئة سمع هاتفا يناديه : أن قم إلى مقبض عصاك الفضي واصلحه ، أنت ابني الحبيب الذي به سررت ...

كان الصوت صوت أليوت ...... وفي غفلة من أصدقائه باع كل ما اقتنى من كتب . حتى بطولة أليوت لم يستطع أن يقلدها جملة وتفصيلا ، فاقتبس عن هذا النموذج ، ما راق له وسهل عليه اقتباسه : أبهة في المظهر والسلوك .

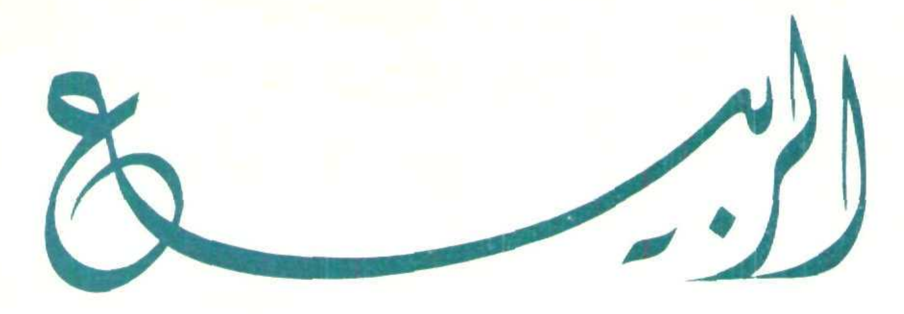
وبعد شهرين أو ثلاثة سأله صاحبه عن الرواية وعن أليوت بالذات ، فإذا هو يحيط شخصية أليوت بهالة من التبجيل ويقول بكثير من الاحترام :

يؤسفني أن يموت أمثال هؤلاء .

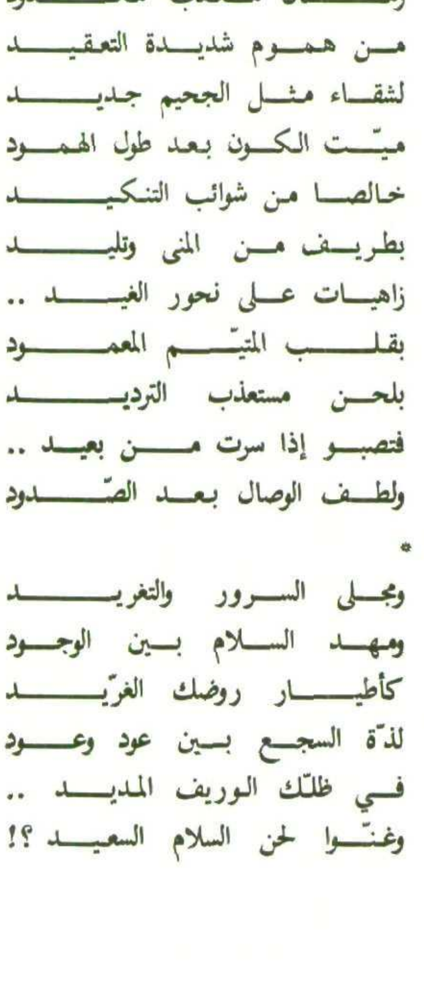
... ومنذ أيام خرج من بيته ملوحا بعصا من سنديان ومقبضها من فضة . لحقته الكلاب ونبحته فقفزت العفريتة إلى أنفه ورفعته إلى أعلى ومضى لا يلتفت ولا يهدد .

أنظر إليه الآن وقد عاد من غربته . إنه يشعر بارتياح . إنه ينتمي ...

وهو بعد الآن لم يعد غريبا .



بقلم الشاعر يوسف زاهر



جنة الزهر بين هذا الوجود / صورتها يد الربيع الجديد
جنة ما لبابها مثل رضوان / يذود الشّقي عند الورود
أيّ عيد من الأزاهر والعطر / تهادى بأرضنا أيّ عيد ؟!
إنه موسم الصبابة والحب / وروض المنى ، ووحي القصيد
إنه مسرح السعادة والأنس / وصدق الوعود للموعود
إنه بسمة تراءت على ثغر / زمان معذّب مكدود
ظلّ ما ظلّ راسفا في قيود / من هموم شديدة التعقيد
ينقل الخطو من شقاء قديم / لشقاء مثل الجحيم جديد
غير أنّ الربيع كالبعث يحيي / ميّت الكون بعد طول الهمود
يبدل الأرض بالشقاء سرورا / خالصا من شوائب التنكيد
أينما جئته ظفرت لديه / بطريف من المنى وتليد
من زهور مثل اللآلىء تبدو / زاهيات على نحور الغيد ..
وورود كأنها وقدة الشوق / بقلب المتيّم المعمود
وطيور تردّ عادية الهم / بلحن مستعذب الترديد
وغصون الى النسائم تشتاق / فتصبو إذا سرت من بعيد ..
علّمت من بظلّها رقة الوجد ، / ولطف الوصال بعد الصّدود

* * *

أيهذا الربيع يا نفحة الخلد ، / ومجلى السرور والتغريد
أيهذا الربيع يا موسم الحب ، / ومهد السلام بين الوجود
ألهم الناس أن يعيشوا على الأرض / كأطيار روضك الغرّيد
ما عليهم لو أنهم شاركوها / لذّة السجع بين عود وعود
ما عليهم لو أنهم سرّحوا الطرف / في ظلّك الوريف المديد ..
ما عليهم لو أنّهم ودّعوا الحرب ، / وغنّوا لحن السلام السعيد ؟!









الحركة الأدبية في العالم العربي

• أفردت « مجلة التربية الحديثة » عددا خاصا من أعدادها ليكون كتابا تذكاريا عن منشئها الراحل العلامة الدكتور أمير بقطر ، تضمن صفحات من سيرته ومآثره في ميداني التربية وعلم النفس ، وقد احتشد لتحريره طائفة من صفوة أصدقائه وتلاميذه ، فجاء سجلا زاخرا بالمفاخر ، عدا أنه رمز وفاء لهذا المربي الماجد الراحل . ومن الذين شاركوا في اعداد هذا السجل الدكتور محمد مظهر سعيد والدكتور عثمان لبيب فراج والسيدة نظلة الحكيم والدكتور عبد القادر النعماني والدكتور ميشيل وهبة والدكتور فيليب صابر سيف والأستاذ عبد الحميد ياسين وغيرهم .

• ديوانان فاخران لشاعرين كبيرين صدرا أخيرا ، أولهما للأستاذ أمين نخلة وعنوانه « ليالي الرقمتين » وهو ينطق بفحولة هذا الشاعر الأمين على التراث ، وثانيهما للأستاذ نزار قباني وعنوانه « الرسم بالكلمات » ، وهو مفعم بآثار التجديد التي ألفها القارىء في شعر نزار الرقيق الكثير التلاوين .

• الأديبة المكينة الدكتورة نعمات أحمد فؤاد ، التي شهد لها العقاد غير مرة بالتبريز والتجويد ، أصدرت أخيرا كتابا ضخما عنوانه « قيم أدبية » تناولت فيه بميزانها الدقيق وذوقها الرهيف وأسلوبها الماتع سير طائفة من أعلام المفكرين المعاصرين الذين عرفتهم عن قرب وتابعتهم من خلال كتاباتهم ، منهم أحمد لطفي السيد والعقاد والمازني وعبد الوهاب عزام من الراحلين ، وطه حسين وأحمد حسن الزيات وتوفيق الحكيم ومحمد فريد أبو حديد ومحمود تيمور ويحيى حقي من الأحياء ، مد الله في أعمارهم الخصبة .

• ومن كتب التراجم النفيسة الحديثة الظهور كتاب « المقرّي » للأديب البحاثة الكبير الأستاذ محمد عبد الغني حسن ، وقد تناول فيه بتوسع وترسل وطرافة سيرة الحافظ الشيخ أحمد ابن محمد المقري التلمساني مؤلف كتاب « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب » . وقد اتفق أن صدرت في بيروت طبعة جديدة من هذا الكتاب الجليل وقعت في عشرة أجزاء ، وهي من تحقيق العلامة الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد .

• وفي باب السير صدرت كتب أخرى منها « تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني » للعلامة الراحل عيسى اسكندر المعلوف وقد نشره نجله الأستاذ رياض المعلوف ، و « الهمشري حياته وشعره » للأستاذ صالح جودت و « سافو شاعر الحب والجمال عند اليونان » للدكتور عبد الغفار مكاوي و « هنري دافيد ثورو ، حياته وأعماله » تأليف جيمس بلايسند وود وترجمة السيدة صوفي عبد الله .

• كتاب ضخم جديد عن الأدب المهجري صدر للأديبة عزيزة مريدن تناولت فيه الناحية الانسانية والحس العربي في شعر المهجر الجنوبي .

• الأديب المهجري الراحل توفيق ضعون صدر له في البرازيل كتاب في الترجمة الذاتية عنوانه « كما هي » ، روى فيه قصة حياته المديدة وتجاربه في الحياة ، وقد قسا عليه القدر فمات تحت عجلات سيارة بعد ما فرغ من مراجعة آخر صفحات الكتاب .

• « شعراء الرس النبطيون » كتاب جديد للأديب السعودي الناشيء الأستاذ فهد الرشيد ، وهو عبارة عن مختارات من الشعر الشعبي نظمها بعض شعراء الرس النبطيين قبل عشرات من السنين .

• صدر للدكتور محمد النويهي كتاب كبير في جزءين عن « الشعر الجاهلي » حلل فيه بمنهاج جديد الشعراء الجاهليين معتمدا في هذا المنهاج على التصوير الواقعي البيئي الحسي للمعاني الشعرية التي قصدها الشعراء ، مما يكسب الشعر حيوية وحركة .

• استخلص الأستاذ محمود مصطفى الدمياطي أسماء النبات الواردة في معجم تاج العروس الكبير للزبيدي ، وصنفها في معجم زراعي عنوانه « معجم أسماء النباتات » . وثمة كتب زراعية جديدة منها « تصنيع الفواكه والخضروات » للأستاذ أحمد عطية غراب ، و « أساسيات فسيولوجيا النبات » للدكتور محمد جمال حسونة و « آفات وأمراض الخضر وطرق مقاومتها » للدكتور شاكر حماد ، و « أزهار الصحراء » للأستاذ مصطفى حمدي أصلان .

• طائفة غير قليلة من المسرحيات أخرجت أخيرا منها « بنك القلق » وهي مزيج من المسرحية والرواية للأستاذ توفيق الحكيم و « غادة أفاميا » وهي مسرحية شعرية للأستاذ عدنان مردم بك ، و « عدو البشر » لموليير وترجمة الدكتور محمد غنيمي هلال ، و « مسرحيات سوفوكليس » ترجمة الأستاذ أمين سلامة ومراجعة الأستاذ متولي نجيب ، و « خمس مسرحيات طليعية » ليوجين يونسكو ترجمة الأستاذ شفيق مقار .

• وفي الأدب الروائي ظهرت رواية « القضية المحيرة » لأيرل ستانلي جاردنر وترجمة الأستاذ ميشيل تكلا ورواية « منشود » للأستاذ نسيب عازار ومجموعات أقاصيص شتى منها « الذين لا يبكون » للسيدة عايدة ادريس مطرجي ، و « السيف والسفينة » للأستاذ عبد الرحمن مجيد الربيعي ، و « زورق ودم » للأستاذ يوسف شرورو .

• من الدراسات الأدبية الجديدة كتاب للدكتور عبد الكريم الأشتر عنوانه « نصوص مختارة من الأدب العربي الحديث » ساق فيه نماذج من نثر أعلام الرواد في الأدب وتحدث عن خصائص كل منهم ، و « العربية الفصحى ، نحو بناء لغوي جديد » وهو كتاب للأديب هنري فليش ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين .

• في أبواب العلوم بفروعها المختلفة أضيفت إلى المكتبة العربية الكتب الآتية : « الكيمياء غير العضوية » للدكاترة حسن خالد وسامي طوبيا وعبد المجيد العجان و « تحويل الماء الملح إلى ماء عذب » للأستاذ يوسف مصطفى الحاروني ، و « المساحة الجيوديسية والقياس الالكتروني » للدكتور علي شكري ، و « كوكب اسمه الأرض » لجورج جاما وترجمة الدكتور سيد رمضان هدارة ، و « الغذاء والصحة » للأستاذ حسن عبد السلام ، و « العين والشمس » ترجمة الدكتور عطية عاشور ، و « الرياضة العامة » للدكتور محمد محمد عباسي .

الصفحة الضاحكة



ماهو ؟

المدرس : ما الذي لا يقوى على الطيران ويصحو قبل الجميع ، وينبش الأرض طول يومه بحثا عن الرزق ؟

التلميذ : بابا يا أستاذ .

مفاجأة

الأول : تسلمت اليوم طردين من البريد .

الثاني : ما هما ؟

الأول : طرد من أخي في أوربا وطرد من وظيفتي .

منطق

الأول : لمَ ترتدي قميصا مبتلا ؟

الثاني : لأنه من نوع « أغسل والبس » .



شعور متبادل

المريض : أشعر بالخوف والاضطراب يا دكتور فهذه هي أول عملية تجرى لي !

الطبيب الجراح : أشاطرك هذا الشعور لأنها أيضا أول عملية أجريها في حياتي !

إستغراب

الأول : عجيب .. أراك اليوم أنيقا مرتديا ملابس نظيفة ، ما الأمر ؟

الثاني : اني مدعو الى حفلة تنكرية .

سوء حظ

التلميذ الأول : ألم أقل لك دائما أني سيء الحظ ؟

التلميذ الثاني : لماذا ؟

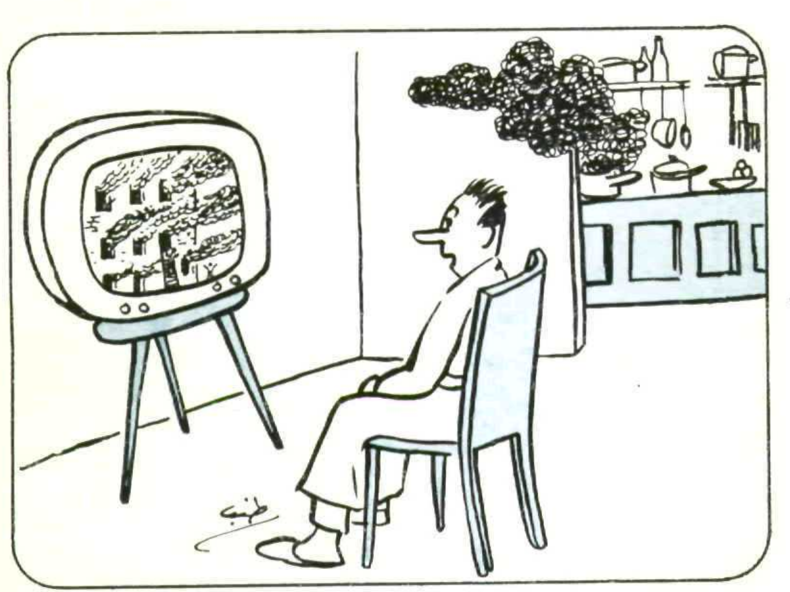
التلميذ الأول : تصور انني مرضت في اليوم نفسه الذي مرض فيه المعلم !



الشرطي : لماذا تسير بسرعة ١٢٠ كيلومترا . ألا ترى اليافطة ؟
السائق : ولكننا .. اثنان .



السائق : الآن يمكنك أن تنزل .



عجيب .. اني أشم رائحة الدخان .



يحرص موظفو ارامكو على استعمال
معدات السلامة أثناء عملهم

تصوير مودي